تاريخ العراق في العصر السلجوقي

القسم الاول

الدكتور
حسين امين



تاريخ العراق
في العصر السلجوقى

دار الشؤون الثقافية العامة

تعنون جميع المراسلات الى
المدير العام ورئيس مجلس الادارة
السيد فاروق خضر الدليمي
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢- فاكس ٤٤٤٨٧٦٠- هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar - iraqculture@yahoo.com

تا ريخ العـــراق
فـــي العصــــر الســـلجوقى

القسم الاول

الدكتور حسين امين

الطبعة الثانية ـ بغداد ـ ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مــقدمة

العراق، وادي الرافدين، مهد الحضارات القديمـــة ، وعلـــى ربوعـــه بزغت شمس المدنية في أول أدوار التاريخ الانسانى، ومرت بالعراق أدوار وعصور كان خلالها مرة يعلو ويستقل ويسود، واخرى، يكون تحت رحمة الفاتحين والمستعمرين، والمتنفذين الطامعين، وكان للعراق نصيب عظـيم في بناء الحضارة الانسانية قديمها وحديثها، خاصة في عصوره الاسلامية الزاهرة.

وقامت في العراق الدولة العباسية، واصـــبحت بغـداد قبلـــة العـــالم الاسلامى،وترعرعت فيها الآداب والعلوم والفنون، كما شيدت فيها المساجد والمدارس، ودور العلم والمكتبات والمستشفيات، وشيدت فيهـــا القـــصور والدور، وازدهرت فيها الحدائق والبساتين.

وسرعان ما تدخل الغرباء في الجهاز الحكومي العباســـى وتـــسنموا المناصب الكبيرة واخذوا يعملون على ان يستحوذوا على السلطة ويجردوا الخلافة من امتيازاتها وخصائصها، فوقعت الخلافة تحـــت وطـــأة النفـــوذ التركى بعد خلافة المعتصم الذي اعتمد على الاتراك وادخلهم فـــي الجـيش العباسى وبعد أن تمادى الاتراك في ازدرائهم للخلفاء وفى استهتارهم فـــى الحكم وايغالهم في العمل على اضعاف الدولة، برزت قوة البـــويهيين فـــي المشرق وتقدمت جحافلهم الى العراق في زمن الخليفة العباسى المـــستكفى بالله،وكان دخول البويهيين بغداد،نقطة تحول كبيـــر فـــي سياســـة الدولـــة

العباسية فقد وقعت الخلافة تحت وطأة النفوذ البويهي والحكم واستمر حكم البويهيين للعراق من سنة ٣٣٤ هـ ـ ٤٤٧ هـ وبعدها دخل السلاجقة بغداد وازالوا الحكم البويهى سنة ٤٤٧ هـ ١٠٥٥م.

إن المرحلة التي حكم فيها السلاجقة العراق مرحلة غامضة يشوب اخبارها التاريخية الاضطراب، كما ان هذه الحقبة ذاتها لم ينبر لدراستها شخص عربي ليقدم للمكتبة التاريخية العربية دراسة موضوعية مفصلة عن العراق في هذا الدور من حياته التاريخية.

واني قد وجدت لزاما علي أن أقوم بدراسة هذا العصر المضطرب من تاريخ بلادي جامعا الحقائق التأريخية من مصادرها الاصلية العربية والفارسية وغيرهما من المراجع الاجنبية.

واتشرف بتقديم هذا المجهود العلمي الذي هو حصيلة استقصاء وبحث سنين عديدة، يشرفني ان اقدمه الى القارئ العربي، دراسة موضوعية جديدة لحقبة من تاريخ العراق ـ مهد الحضارة والمدنية.

وارجو ان أكون قد وفقت في بحثي هذا ، فان اصبت فواجب هداني الله الى انجازه واتمامه وان وقعت في بعض الخطأ والسهو، فما انا الا انسان لم يعصمني الله عز وجل من النقص والتقصير، اسأله تعالى ان يوفقنا في بحثنا ويبعدنا عن الهوى وزلل اتباعه، ولي ثقة بحسن الظن وسعة الصدر، ما يطمعني بطلب العفو ان بان مني تقصير اوظهر في بحثي قصور.

والله ولي التوفيق

حسين امين

بغداد ١٩٦٥

الفصل الاول

حالة الخلافة العباسية
قبل دخول السلاجقة العراق

تحديد معنى العراق. الاديان السائدة. العناصر المستوطنة في بلاد وادي النهرين . قيام الدولة العباسية. التدخل التركي ظهور التقطع في الدولة العباسية. ضياع هيبة الخلافة. الاضطراب في أواخر العصر التركي. ظهور بني بويه. اصلهم ونسبهم. بداية الهجمات البويهية على املاك الدولة العباسية. حاكم واسط يكاتب البويهيين. دخول البويهيين بغداد. الخليفة يخلع على احمد بن بويه ويلقبه معز الدولة. اهانة البويهيين للخليفة العباسي. تفكير البويهيين في نقل الخلافة الى العلويين. تنصيب الطائع الخليفة العباسي لعبة بيد البويهيين. السلطان البويهي يسلب سلطات الخليفة. أسباب العداء بين الخلفاء والبويهين سياسة البويهيين أمام الجمهور. اصلاحات البويهيين. الاقطاعات البويهية ونتائجها السيئة. افلاس الخزانة. ادخال البويهيين للعناصر التركية. السياسة العنصرية والطائفية ومضارها. سوء الاوضاع. ظهور العيارين حركة العيارين.حركة وليدة الظروف الاجتماعية. مبادئ العيارين. صلة الفتوة بحركة العيارين. معنى لفظ عيار. أعمال العيارين التخريبية. درجات العيارين.استعانة الدولة بالعيارين انسلاخ بعض البلاد من جسم الدولة. أعمال عضد الدولة البويهي. المارستان العضدي. دار العلم استبداد. الامراء البويهيين. الرشاوى في تقليد الوظائف. ضعف الخلافة. الاسباب التي أدت الى عدول البويهيين عن نقل الخلافة الى الفاطميين. المجتمع في بغداد. النزاع بين السنة والشيعة.

افول نجم بني بويه. ظهور دولة السلاجقة.

العراق من المواطن الحضارية، بزغت في ربوعه شمس المدنية، منذ أقدم العصور. وجدير بنا قبل ان نخوض في موضوع البحث وهو العصر السجلوقي في العراق، أن نتعرف على معنى كلمة العراق والعناصر البشرية التي كانت تقطنه واهم الديانات السائدة بين السكان.

تكاد تجمع معاجم اللغة العربية على أن معنى "العراق "شاطئ البحر، جاء في تاج العروس: العراق جمع عراق، بالكسر: لشاطئ البحر على طوله. نقله الليث وهو ككتاب وكتب. وقال: وبه سمي العراق عراقا... والعراق شاطئ الماء أو شاطئ البحر خاصة ازاد الليث طولا،أي على طول البحر ....قال ابو زيد: كل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو عراق.. لأن العراق بين الريف والبر أو لأنه على عراق دجلة والفرات، أي شاطئهما[1].

وجاء في معجم البلدان[2]:قال قطرب:انما سمي العراق عراقا.لانه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر[3] وقال الخليل:ـ العراق شاطئ البحر وسمي العراق عراقا لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله قال الاصمعي: هو معرب عن ايران شهر وفيه بعد عن لفظه، وان كانت العرب تتغلغل في التعريب بما هو مثل ذلك، وقال ابوعمرو :سميت العراق عراقا لقربها من البحر، قال واهل الحجاز يسمون كل ما كان قريبا من البحر عراقا.

---

[1] الزبيدي:تاج العروس جـ ٧ ص ٩

[2] ياقوت:معجم البلدان (مادة عراق).

[3] الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد جـ١ ص٢٤، يبدوان ياقوت الحموي اعتمد في هذا التفسير على ماذكره الخطيب.

ويعتقد الباحث هرسفلد: أن العراق معرب لفظ ايراك الايراني ومعناه البلاد السفلى أو الجنوب، وكانت انحاء واسط الى الخليج العربي عائدة الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية، وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي وتاريخ حمزة الاصفهاني، ايران العراق ولا جرم أنها غلط والصواب ـ ايراكك ـ (بالكاف الفارسية) ـ ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراك والفوا لفظة ايران، فصحفوا ايراك بايران، كما أن ابدال الهمزة من العين أمر شائع وجاء في نص الافستا كلمة "ايرانستان" وهو اسم كورة واقعة بين فيروزاباد والخليج العربي وكان يجب أن تقرأ ايراكستان بالكاف الفارسية وما ايراكستان الاالعراق[٤].

هذه خلاصة الآراء التي قدمت في هذا الموضوع، فضلا عن وجود رأي آخر يقول: إن أصل كلمة العراق انما مأخوذ من ارك المدينة السومرية القديمة. الا أنني في الحقيقة أرجح الآراء الاولى، أي تفاسير المعاجم العربية لأصل الكلمة، لصحة معناها ومبناها اللغوي وانطباقه على وضع العراق الجغرافي، وأرجح ايضا ان العرب الذين أطلقوا هذا الاسم على العراق لانطباق ما تعنيه هذه اللفظة على صفة العراق الطبيعية أما رأي الاستاذ هرسفلد فاعتقد أنه بعيد عن الحقيقة، وكان على الاستاذ هرسفلد أن يتتبع كلمة العراق ومتى اطلقت على هذا الاقليم فان المصادر القديمة كلها لم يرد فيها لفظ العراق ولم يرد ايضا كلمة ايراكستان التي يعتقد هرسفلد ان المقصود بها العراق، جاءت ليقصد بها العراق، وان أكثر

---

[٤] مجلة لغة العرب: جـ٤ ص٤٤١ ـ ٤٤٣ مقال للاستاذ البحاثة هرسفلد.

الرحالة والمؤرخين اطلقوا على العراق "بلاد مابين النهرين" وارض بابل، وبلاد اشور. فالتتبع التاريخي لتدوال الكلمة أمر مهم في تحقيق انتشار اللفظ، وعليه فان كلمة العراق على ماأرجحه كلمة عربية بحتة، انتشرت بانتشار العرب في العراق وأصبحت متداولة بشكل واضح في العصور الاسلامية. أما الرأى الاخير وهو أن أصل كلمة العراق من ارك اوْ الوركاء السومرية فهذا مالم تثبته الحقائق بعد، ولا أدرى لماذا اختار الناس كلمة "ارك" لتطلق على العراق علما أن هناك مدنا أقدم من ارك وأشهر منها، فمن حيث الشهرة اشتهرت بابل ونينوى وآشور وأور وغيرها من المدن العراقية القديمة، ويخيل إلي ان وجود التشابه بين كلمة العراق وكلمة ارك القديمة هو الذي جعل بعض الباحثين يعتقد بالصلة هذه[٥].

أما من حيث تحديد العراق في العصر الذي نحن بصدد دراسته فان الجغرافيين المسلمين وغيرهم كانوا يلتقون بعض الشئ في التحديد ويختلفون في بعض النقاط. والطبيعة قسمت سهل مابين النهرين الذي اتخذ الفرات ودجلة فيه مجرييهما على قسمين: الشمالى و (هو مملكة آشور القديمة) ومعظمه مراع تغطي سهلا حجري الاصل. والجنوبي و (هو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل وتسقيها أنهار الري. وقد سمى العرب مابين النهرين الشمالي بالجزيرة والجنوبي بالعراق[٦].

---

[٥] انظر لفظ عرق في معجم البلدان فان له مدلولا جغرافيا في التضاريس الصحراوية.

[٦] لسترانج:بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠

وكانت لفظة كلمة "السواد" قرينة لكلمة العراق، قال الخطيب البغدادي: وانما سمي السواد سواداً لأن المسلمين قدموا يفتحون الكوفة فلما أبصروا النخل قالوا ماهذا السواد[٧]، فكلمة سواد اصبحت مدلولا على الاراضي الزراعية التي تشمل الاراضي الخصبة المكونة من جراء ترسبات مياه دجلة والفرات،واصبح يراد بها اقليم بابل جميعه ويجمع الجغرافيون على أن السواد يمتد من العلث[٨]وحربي[٩]شمالا الى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان[١٠]،شرقا الى العذيب[١١].بجوار القادسية غرباً [١٢]. أما حدود العراق فانها تكاد تكون منطبقة لحدود السواد مع اختلاف الجغرافيين المسلمين في تحديد الحد الشمالي له، فمنهم من يرى أن حدود العراق هي حدود

---

[٧] الخطيب البغدادي:ج١ ص٢٤

[٨] العلث:بلدة في الجانب الغربي لدجلة فوق مدينة عكبرا

[٩] حربي: بلدة الى غرب عكبرا يمر فيها نهر الدجيل واقام المستنصر عليها قنطرة عرفت في التاريخ بقنطرة حربي ولاتزال آثارها قائمة حتى هذه اللحظة، وتمتاز هذه القنطرة بالشريط الكتابي الذي يبين تاريخ تشييد هذه القنطرة وهو سنة٦٢٩هـ.

[١٠] حلوان: مدينة تبين حدود العراق الشرقية قال عنها الاصطخري: مدينة عامرة اكبر منها وأكثر ثمارها التين،وهي بقرب الجبل وليس بالعراق مدينة بقرب الجبل غيرها (المسالك والممالك ص٦١).

[١١] العذيب: العذيب تصغير العذب، مكان ماء عن يمين القادسية لبني تميم، بينه وبين القادسية أربعة أميال (مراصد الاطلاع).

[١٢] الاصطخري:ص٥٦ ــ ٦١، المسعودي: التنبيه والاشراف ص٣٨، ابن حوقل: المسالك والممالك ص٢٣٤، ابن رستة: الاعلاق النفيسة ص١٠١ ــ١٠٥.

السواد[١٣] بينما يرى الاصطخرى أن حدود العراق هي: في الطول من حد تكريت الى حد عبادان على بحر فارس وفي العرض عند بغداد في قادسية الكوفة الى حلوان وعرضه بواسط ـ من واسط الى قريب الطيب، وعرضه بالبصرة ـ من البصرة الى حدود جبى[١٤]. أما الخطيب البغدادي فانه يحدد العراق: من بلد الى عبادان وعرضه من العذيب الى جبل حلوان[١٥]ومدينة بلد التي يقصدها الخطيب هي الموضع المعروف اليوم بأسكى موصل ــ وتعرف بأسم بلط أيضا ـ وتقع على بعد ٤٠ كم شمال غربي الموصل على ضفة دجلة اليمنى.

ولكننا في سياق الحوادث التاريخية في العصور الاسلامية خاصة في العصر العباسي نجد أن العباسيين يستمرون على سياسة عد الموصل مركزا لبلاد الجزيرة بعد أن كانت مدينة تابعة للكوفة[١٦] فكانوا يعينون عليها الولاة الاكفاء، وكانت مستقلة عن بغداد في ادارتها، وكانت تعد من أعمال الجزيرة. فالتحديد الذي قدمه الجغرافيون والذي يلخص بأن حدود العراق من تكريت شمالا الى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان شرقا الى القادسية غربا[١٧]،وهو التحديد المناسب الذي ينطبق على مجريات التاريخ ..

---

(١٣) المسعودي: التنبيه والاشراف ص٣٨.

(١٤) الاصطخري: المسالك والممالك ص٥٦.

(١٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١ ص٢٤

(١٦) سعيد ديوه جي: الموصل ص١٠ نقلا عن تاريخ الازدي: تاريخ الموصل: مخطوط.

(١٧) الاصطخري: المسالك والممالك ص ٥٦ـــ ابن حوقل: المسالك والممالك ص-٢٣١ المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٣٤.

ويتفق وطبيعة التكوين الطبيعي للأرض وللغالبية التي تسكن هذه المنطقة. أما الجزيرة فيمكن تحديدها بخط يمر من شمالي الأنبار الى تكريت ثم يصعد شمالا الى السن[١٨] والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر وآمد ثـم يتجـه غربا الى سميساط ويستمر حتى يصل الفرات الذى يكـون الحـد الغربـي للجزيرة[١٩].

فالعراق في سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥ م يمكن أن نحـدده مـن تكريـت شمالا الى الخليج العربي ومن حلوان الى القادسية غربا، وجنوب العـراق حقا هو الخليج الذي يعرف اليوم الخليج العربي أو خلـيج البـصرة.ومـن اشهر مدنه البصرة والكوفة وواسط، أما الموصل فقد ملكها بنـو حمـدان سنة ٢٩٣ـ ٣٦٧ هـ/٩٠٥ ـ ٩٩٧ م، ثم سيطر عليها العقيليـون مـن سنة ٣٦٨ـ٤٨٦ هـ / ٩٧٨ـ١٠٩٣ م ـ ومن الجدير بالـذكر أن هـذا التحديد للعراق لم يكن الا اصطلاحا جغرافيا وتحديدا اقليميا، فالعراق جـزء من الامة العربية كما أنه برغم ضعفه وانهيار الحالة السياسة فيه، مركـز العالم الاسلامي ، فالسلطان السلجوقي كما سنرى سعى دائما الى ارضـاء الخليفة وكسب وده ليمنحه الاعتراف بحكم سلطنته الشرعية، كما احـتفظ الخليفة بنفوذه الديني الذي كان له الاثر الكبير في استرداد هيبة الخلافـة واستقلالها.

---

(١٨) السن: بلدة على بعد ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة، معظم أهلها من النصارى وفيها بيع لهم.

(١٩) الاصطخري: المسالك والممالك ص٥٢ ـ ابن حوقل: ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

وتاريخ السلاجقة العظام يشمل المشرق كله والعراق والشام، وتاريخ سلاجقة العراق يشمل اقليم الجبل (العراق العجمي) واقليم اذربيجان واقليم فارس (عاصمته شيراز).

وعراق العصر السلجوقي يزيد شيئا وينقص شيئا عن العراق الحالي. الشى الزائد هو منطقة الموصل، والشئ الناقص هو العراق العجمي واذربيجان وفارس. ويهمنا هنا في هذا الموضوع، العراق بحدوده المقابلة تقريبا لحدود العراق الحالي خاصة، ومن الجدير بالذكر أن العراق لم يعش وحده يومئذ وانما عاش في وحدة سياسية أكثر تشمل كل ايران الحالية تقريبا، والعراق اليوم وحدة جغرافية يحده من الشمال تركيا ومن الشرق بلاد ايران ومن الجنوب الخليج العربي ومن المغرب المملكة السعودية والاردن وسوريا.

أما أهم العناصر التي سكنت العراق فهم العرب وهم الأكثرية الكاثرة في العراق ومن أشهر القبائل العربية التي كان لها النفوذ في القرنين الرابع والخامس الهجريين، قبائل خفاجة وقد انتشروا في الجنوب الغربي من الفرات بين الكوفة والبصرة[٢٠] وقبائل بني اسد قرب الكوفة وعين التمر، وكانت تسكن في الكوفة قبائل أخرى مثل خزاعة وبكر وبجيلة وذهل وقضاعة وتميم وحنظلة ومذحج وعبد قيس[٢١]، وسكنت في البصرة قبيلة

---

[٢٠] الصابي: تحفة الوزراء ص٤٧٢.

[٢١] الدينوري: الاخبار الطوال ص١٨٢.

ربيعة[٢٢]،وقبيلة مضر[٢٣] وسكنت بنو تميم في البادية غربي البصرة[٢٤].واستوطنت الموصل قبائل الخزرج والازد وبنو تميم وبنو وائل من بكر وتغلب كما نزلتها بنو قيس وهم من قبائل مضر.

ومن العناصر التي سكنت العراق، الديالمة وهم الذين كانوا يسكنون جنوبي شرقي بحر قزوين وقد جاء بعضهم قبل دخول البويهيين الى العراق [٢٥]ثم ازداد عددهم خلال العصر البويهي وأصبح لهم نفوذ كبير في العراق. كما سكن في العراق بعض الفرس والذين كان لهم أثر في حقلي الثقافة والسياسة. ومن العناصر القوية التي لعبت دورا خطيرا في السياسة، العنصر التركي الذي أخذ يزداد خطره منذ أن استخدمهم الخليفة المعتصم العباسي، كما سكن في العراق بقايا النبط الذين كانوا يتكلمون الآرامية، أما الاكراد فكانوا يسكنون في القسم الاعلى من الجزيرة وفي الجهات الشرقية والشمالية الشرقية منها.

أما أشهر الاديان التي كانت سائدة في العراق، فالدين الاسلامي لأنه دين الدولة الرسمي ومعظم سكان العراق يدينون به على اختلاف المذاهب الشيعة والسنة، ومن الاديان السائدة الدين المسيحي واليهودي، وهناك معتقدات أخرى منتشرة لم يكن لها من أهمية في الحقبة التي نحن بصددها.

---

[٢٢] الذهبي:تاريخ الاسلام مخطوط ورقة١٢أ.

[٢٣] ابن الاثير: الكامل جـ٨ ص٢٢٦.

[٢٤] الاصطخري: ص٢١.

[٢٥] مسكويه ج٢ ص٤١

يضاف الى ذلك الخلافات المذهبية التي كانت تفرق بين الناس في العاصمة وفي كثير من المدن الاخرى وتؤدي الى اضطرابات عنيفة.

هذه توطئة لبيان موقع العراق وحدوده وتسميته واهم الاقوام التي سكنت فيه والاديان السائدة في ربوعه، ولا يفوتنا أن نذكر أن العراق بلد المياه والاراضي الخصبة ذات الخيرات الوفيرة كانت منذ أقدم العصور مطمحا لكثير من الاقوام والجماعات، كما أن العراق في هذه المدة ذاتها، تولت أموره حكومة ضعيفة فكانت احواله غير مستقرة، وانها مركز الخلافة ومن يسيطر على العراق كان له النفوذ الكبير في تصريف وتوجيه سياسه العالم الاسلامي السني بشكل خاص، كون الخلافة في مصر كانت في هذا الوقت شيعية ولها نفوذ وتأثير كبيران في أصحاب المذهب الشيعي في العالم الاسلامي.

قامت الدولة العباسية في العراق سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م فتية قوية، وكان جل اعتمادها على العنصر العربي الذي امدها بالحيوية والنشاط[٢٦]الى جانب اعتمادها على العنصر الفارسي في المشرق خاصة، وبلغت حدا كبيرا من التقدم السياسي والاجتماعي والثقافي والعمراني، وأصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامي ومحط انظار السياسيين والعلماء

---

[٢٦] حاول الكثير من المؤرخين أن يصبغوا الدعوة العباسية وقيامها بالصبغة الفارسية ولكن من الثابت تاريخيا ان العباسيين كان جل اعتمادهم على العنصر العربي.فقد جعل العباسيون اثني عشر نقيبا من أجل الدعوة لهم، ثمانية من العرب وأربعة من الفرس، وكان معظم القواد الذين اعتمدت عليهم الثورة والدولة العباسية في أول تكوينها من العرب، مثل قحطبة بن شبيب الطائي وولده الحسن وعبد الله بن علي وغيرهم من القواد العرب، كما نلحظ في سياسة أبي العباس والمنصور وهم من المؤسسين الاوائل لهذه الدولة، اعتمادهم على العنصر العربي واسنادهم له ومقاومتهم للتنفذ الفارسي. راجع:الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص١٣٥٨.

ـ مجهول: الدولة العباسية ـ مخطوط بمكتبة الاوقاف ببغداد.

والفقهاء وبلغت درجة كبيرة من الرقي والاتساع. الا ان المعتصم العباسي اعتمد في حكمه على عنصر غريب، هو العنصر التركي الذي أخذ بمرور الزمن يترقى في المناصب ويتولى المراكز الحساسة في الدولة، صار هذا العنصر يتدخل في شؤون الخلافة مستغلا ضعف الخلفاء في العصر الثاني العباسي، وفقدت الخلافة في هذا العصر هيبَتها وعناصر قوتها كما فقدت الدولة العباسية الكثير من ممتلكاتها من الناحية الفعلية مع بقاء الوحدة من الناحية القانونية فقد استقل المتنفذون والطامعون، واصبحوا يحصلون على تفويض تام بتدبير أمور اقاليمهم، فقامت الدولة الصفارية ٢٥٤ ـ ٢٩٠ / ٢٦٨ ـ ٩٠٢ م، والدولة السامانية ٢٦٦ ـ ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ ـ ٩٩٩ م في ايران، كما قامت الدولة الطولونية ٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٥ م والدولة الاخشيدية ٣٢٣ ـ ٣٥٨ هـ/٩٣٤ ـ ٩٦٨ م في مصر والدولة الحمدانية في الموصل وحلب ٣١٧ ـ ٣٩٤ هـ/٢٢٩ ـ ١٠٠٣ م.

في هذا العصر أصبح الخليفة لعبة بيد الاتراك وساءت أحوال الدولة وتولى في هذه الحقبة خلفاء ضعفاء لاقوة لهم وانصرف معظمهم الى اللهو والتبذير، فقد بدد المقتدر مثلا كل ماجمعه أبوه وأخوه[٢٧]، كما كان كثير الانهماك في الشرب[٢٨]، واضطربت أمور الدولة في عهد المقتدر خاصة بعد استقالة الوزير علي بن عيسى، اذ أصاب الخزانة عجز كبير ولم تعد قابلة لأي اصلاح فاضطر الوزير سليمان بن الحسن سنة٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م

---

[٢٧] ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ١٩٢

. ـ مسكويه: تجارب الامم جـ١ ص٢٣٨، جاء فيه: ان المقتدر اتلف نيفا وسبعين الف الف دينار

[٢٨] التنوخي:نشوار المحاضرة جـ١ص ١٤٤

الى بيع الضياع السلطانية التي هي المورد الاول لسد النفقات ولكن هذا المورد لم يكف لسد العجز[٢٩]. واستمرت الأحوال مضطربة في عهد المقتدر وضاعت هيبة الثغور على حدود الدولة، واخذ البيزنطيون يشنون الغارات المتصلة على الحدود المتاخمة لهم بعد ان ضعف الدفاع عنها[٣٠]. وقد قتل هذا الخليفة سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م واستبد بالامور مؤنس الخادم الملقب بالمظفر أمير الجيوش، واجلس القاهر خليفة[٣١]، وهذا هو الآخر قبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه[٣٢]، وولي الخلافة، الراضي، سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣ م وفي عهده لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم،[٣٣] واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، وكرمان في يد ابي على محمد بن الياس، والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج وافريقية في يد ابي القاسم القائم بامر الله بن المهدي العلوي والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد

---

[٢٩] Bowen:The life and times of Ali b.Isap.299

[٣٠] Muir:The caliphate,p.567

[٣١] مسكويه:تجارب الامم جـ١ ص٢٣٧ ـ ٢٤٢. ـ أبو الفدا: تاريخ ابى الفدا جـ٢ ص٧٨.
ـ عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري ١٧٤ ـ ١٨٠.

[٣٢] ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٠٥ Bowen,p.329

[٣٣] ابن الاثير: الكامل جـ٦ ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطى[٣٤]. وفي هذه الحقبة ظهر على المسرح السياسي بنو بويه، وهم الذين سيلعبون دورا مهما في حياة الدولة العباسية. ونفضل ان تطول وقفتنا قليلا أمام العصر البويهي لأنه المدخل للعصر السلجوقي، وفيه ظهرت معظم العناصر التي استمرت تؤثر في ذلك العصر.

والبويهيون أصلهم من الديلم، وبلاد الديلم الأصلية هي المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر، ومن جهة الغرب شئ من أذربيجان وبلاد الران[٣٥]، وقد اختلف الباحثون في نسبهم فمنهم من يرى أن نسبهم يرتفع الى واحد من ملوك الفرس[٣٦]، ومنهم من يرى انهم من العرب ويرجعون الى بني ضبة[٣٧] وقد يكون هذا الرأي تعبيراً رمزياً عن مدى التقارب الذي حدث بين العرب والديلم. ويرجح أن البويهيين من الديلم ولا صلة لهم بالعرب. واشتهر من بنى بويه الاخوة علي واحمد والحسن، وأبوهم بويه، كان صيادا فقيرا على بحر قزوين[٣٨].

---

[٣٤] الكامل:جـ٦ ص ٢٥٥.

أبي طاهر القرمطى: الكامل جـ٦ ص٢٥٥.

[٣٥] الاصطخري: المسالك والممالك ص١٢١ طبع سنة ١٩٦١

ـ المقدسي:أحسن التقاسيم ص٣٥٣.

[٣٦] ابن الطقطقي: الفخري ص٢١٥.

[٣٧] ابن حسول:تفضيل الاتراك ص ٣٥.

Bowen, P.339/-Ency. Of Islam, vol. I, P. 801.

[٣٨] ابن الجوزي جـ٦ ص٢٦٩.

واشتغل هؤلاء الاخوة في خدمة مرداويج بن زيار، الذي اسس الدولة الزيارية، وقد أظهر علي بن بويه كفاية ومقدرة، وصار يترقى في مناصب الدولة حتى ولاه مرداويج ولاية الكرج ويبدو أنه أصاب نجاحا في حكمه وصار أهل الولاية يظهرون له الحب، الامر الذي أثر شكوك مرداويج وأحس بخطره في المستقبل، وبدأت المنافسة بين بني بويه ومرداويج، ولكن البويهيين تنفسوا الصعداء بعد مقتل مرداويج سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤ م، فاغتنم الاخوة الفرصة فاستولى الحسن على أصفهان والري وهمذان[٣٩]، وشيراز، كما نازع احمد بن بويه، علي بن العباس على ولاية كرمان وانتصر عليه[٤٠]، كما أخذ البويهيون يهاجمون أملاك الخليفة العباسي في العراق، ففي سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣ م هاجم احمد بن بويه، مدينة واسط ولكن توزون الذي كان أمير الأمراء صد هجوم احمد بن بويه وتمكن من ايقاع الهزيمة بجيشه[٤١].

ونحن اذا صرفنا النظر عن الحوادث الجارية وما تحمل من اتفاقات ومصادفات، وجدنا الوضع يتلخص في أن نظام امرة الأمراء كان يزداد كل يوم عجزا عن ضبط امور العراق بينما كان ملوك بني بويه يزدادون كل يوم ضبطا وقوة وصيتا، حتى تطلعت النفوس الى احلال بني بويه محل امراء الأمراء. وفي سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤ م توفي امير الأمراء توزون

---

[٣٩] مسكويه:تجارب الامم ج١ ص302 . E.I.voi.I.p 807

[٤٠] ابن خلكان: وفيات الاعيان جـ٢ ص ٣٦٤.

[٤١] ابن كثير: البداية والنهاية ج١١ ص٢٠٧ ــ ٢٠٨

واصبح شيرزاد أمير الأمراء[٤٢]، وكان معز الدولة (احمد بن بويه) في الاهواز، وكان شيرزاد قد استعمل على واسط ينال كوشه الذي كاتب معز الدولة بن بويه واستقدمه[٤٣]، ويبدو ان ينال كوشه كان قدأحس بقوة البويهيين واتساع نفوذهم في وقت كانت الخلافة العباسية قد دب فيها الضعف والانهيار وسادت الفوضى مختلف مدن العراق خاصة بغداد حيث انتشر اللصوص الذين نشروا الرعب وتسلطوا على أموال الناس الى حد هرب فيه التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب وفساد الأمر[٤٤] .كما ارجح أن ينال كوشه حاكم واسط كان يحس بمطامع احمد بن بويه ويعلم أنه هاجم العراق قبل هذا عدة مرات بقصد الاستيلاء عليه، فرأى من مصلحته مداراة القوة الجديدة ضمانا لمستقبله فتقرب الى البويهيين وكاتبهم واظهر الاخلاص والمعاونة لهم.

والواقع، ان نظام امرة الأمراء مني بفشل ذريع، وعجز عن حل الازمة المستحكمة وعن استرداد هيبة الخلافة في نظر أصحاب الاطراف فتطلعت النفوس الى نظام جديد غير نظام امرة الأمراء، وفعلا استدعى الخليفة، الحمدانيين مرة ضد آل البريدي وضد امراء الامراء، فهب الحمدانيون وحاربوا ابا عبد الله البريدي وانصاره الاتراك، ولكن على

---

(٤٢) ابوالفدا: ج٢ ص٩٩.

(٤٣) مسكويه: تجارب الامم ج٢ ص٨٤ .

ـ ابن الاثير: ج٦ ص٣١٤.

(٤٤) مسكويه: تجارب الامم ج٢ ص ٨٣.

الرغم من ذلك فقد ظل الوضع مضطربا الى ان دخل البويهيون العراق[٤٥].
تحرك احمد بن بويه من الاهواز ودخل العراق فاضطرب الناس ببغداد، فلما وصل الى باجسرى زاد اضطراب الناس واختفى الخليفة المستكفى بالله وابن شيرزاد (أمير الأمراء) فلما علم الاتراك باختفاء الخليفة وابن شيرزاد عبروا الى الجانب الغربي وساروا الى الموصل. فلما سار الاتراك ظهر المستكفي بالله وعاد الى دار الخلافة[٤٦]، واجتمع الحسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة بالخليفة المستكفي وابن شيرزاد، وأظهر الخليفة السرور بقدوم احمد بن بويه وأعلمه انه انما استتر خوفا من الاتراك فلما ساروا عن بغداد ظهر[٤٧].

وفي الحادي عشر من جمادي الآخرة نزل احمد بن بويه في معسكره بباب الشماسية ووصل الى الخليفة المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا، واخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له بأغلظ الايمان، وأقسم الامير البويهي اليمين، وخلع الخليفة عليه الخلع ولقبه معز الدولة ولقب

---

[٤٥] الكامل جـ٦ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

[٤٦] مسكويه: جـ٢ ص٨٤.

ـ ابن الاثير: الكامل جـ٦ ص٣١٤.

[٤٧] مسكويه: ج٢ ص٨٤ ـ ٨٥.

ـ ابن الاثير: ص٦ ص٣١٤.

ـ ابوالفدا: جـ٢ص٨٥.

ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٢ ص٢١٢.

أخاه عليا بعماد الدولة كما لقب اخاه الحسن بركن الدولة وامر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم(٤٨).

واحتاج النظام الجديد الى أن يدعم أسسه وأن يقبض على زمام الامور وأن يقتلع أسباب الفتنة وأن يكف طمع الطامعين وفي سبيل اتمام هذا الهدف لم يتحرج النظام البويهي من التنكيل بأنصار النظام القديم ومن عزل الخليفة ومن اهانته.

ولم تمض الا ايام معدودات حتى انقلب الأمير البويهي معز الدولة على الخليفة المستكفي بالله، فأهانة اهانة كبيرة فقد سحب من مكانه واقتيد الى دار معز الدولة واعتقل فيها، ونهبت دار الخلافة(٤٩)، اما سبب ذلك فقد قيل: ان "علما" قهرمانة الخليفة دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة انها فعلت ذلك لتاخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك.

وكان المستكفي بالله قد قبض على الشافعي رئيس الشيعة، فشفع فيه اصفهدوست فلم يشفعه فأحفظه ذلك وذهب الى معز الدولة فقال: قد راسلني الخليفة في ان ألقاه متنكرا في خف وازار(٥٠)، وأرى أن هناك سببا آخر

---

(٤٨) مسكويه: جـ٢ ص ٨٥.

ـ ابن الاثير: جـ٦ ص ٣١٤ Ency.of Isiam,vol.I.p.807

(٤٩) مسكويه: جـ٢ ص٨٦

(٥٠) مسكويه: جـ٢ ص٨٦

ـ ابن الاثير: جـ٦ ص٣١٤ ـ ٣١٥.

قديضاف الى هذين السابقين، ذلك أن الأمير البويهي انما دخل بغداد بقصد السيطرة والاحتلال ولتثبيت الفكرة الشيعية التي هو يؤمن بها، فالأساس في الخلاف هو الصراع المذهبي بين السنة والشيعة، وكان الأمير البويهي يقصد اضعاف الخلافة واذلالها بل الاطاحة بها، كما سندلل على هذا بالمحاولة التي حاولها معز الدولة، فقد حاول القضاء على الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية، وأنه أشخص في نواحي فارس أحد كبار العلويين مشتهرا بالديانة وحسن السيرة والصيانة[٥١]، واقترح معز الدولة عليه أن يسلمه الملك والخلافة اعتقادا منه بأحقية آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بتولية أمور المسلمين، ولكن هذا العلوي شكر للأمير واعتذر عن قبول ذلك العرض ونصحه بالعدول عن هذه الفكرة لأن عامة الناس في الاقطار والامصار قد اعتادوا الدعوة العباسية ودانوا بدولتهم واطاعوهم كطاعة الله ورسوله ورأوهم أولي الامر[٥٢]، وقيل أن الصيمري[٥٣] منع الأمير البويهي من تنفيذ تلك الفكرة وقال له: اذا بايعته استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مراراً وتمرض تارة

---

[٥١] البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر ص٢٢ ــ ٢٣.

ــ مسكويه: جـ٢ ص٧٨ في الحاشية: ان العلوي اسمه أبو الحسن محمد بن يحيى الزيدي

[٥٢] البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر ص٢٣.

[٥٣] الصيمري ــ أبو جعفر محمد بن احمد الصيمري وزير معز الدولة البويهي.توفي٣٣٩هـ.

وتستقل أطواراً لأن أصلها ثابت وبنيانها راسخ[٥٤]، فاستبعد معز الدولة الفكرة وعدل عن تنفيذها.

ونصب معز الدولة البويهي، أبا القاسم الفضل بن المعتز خليفة ولقبه المطيع لله سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م[٥٥]، ولم يكن الخليفة المستكفي بالله هو الوحيد من الخلفاء العباسيين الذي تعرض للاعتداء في هذا العصر، ففي سنة ٣٨١هـ / ٩٩١ م اعتدى البويهيون على الخليفة الطائع لله وسبب الاعتداء أن الأمير البويهي قلت عنده الاموال، فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور[٥٦]. فلم يغن ذلك عنه شيئا، وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع وأطمعه في أمواله وذخائره وهون عليه ذلك وسهله[٥٧]، فتقدم أصحاب الامير البويهي، وجذبوا الخليفة بحمائل سيفه من سريره فلف بكساء وحمل الى بعض الزبازب وخلع من الخلافة[٥٨].

---

(٥٤) مسكويه: جـ٢ ص٨٧ جاء في الهامش: ان العلوي اسمه ابوحسن محمد بن يحيى الزيدي.

(٥٥) مسكويه:تجارب الامم جـ٢ ص٨٧.

ـ ابن الجوزي: المنتظم جـ٦ ص٣٤٣.

ـ ابن الاثير: الكامل جـ٦ ص ٣١٥.

ـ ابن الطقطقى: الفخري ص ٢١٢.

(٥٦) سابور: أبو نصر سابور بن أردشير وزير بني بويه في عهد شرف الدولة بن عضد الدولة توفي سنة ٤١٦ هـ (المنتظم جـ٨ ص٢٢).

(٥٧) ذيل كتاب تجارب الامم: ص ٢٠١.

ابن الاثير: ج٧ ص١٤٧.

(٥٨) مسكويه: جـ٢ ص١٠٢.

ـ ابن الجوزي: جـ٧ ص١٥٦

وهكذا ساءت حال الخلافة ــ واصبح الخليفة لعبة بيــد البــويهيين، ينصبونه ويعزلونه، ويلحقون به الاذى والاعتداء، واصبح الخليفة العباسي اشبه ما يكون بالموظف يخصص له الامير البويهي راتبا، وكانوا يتصرفون حسب مشيئتهم في تخصيص تلك الرواتب، فقد جعل معز الدولــة للخليفــة المستكفي خمسة آلاف درهم في اليوم[٥٩]، ثم خفض ذلك المرتب الى ألفي درهم يوميا عندما عين المطيع[٦٠].وكان للخليفة العباسى وزيــر وللأميــر كاتب الامر انعكس في العهد البويهي[٦١]، وتلقب الحكام البويهيــون بلقــب امير، ،وانهم استخلفوا وظيفة امير الأمراء، وتلقبوا بألقاب مختلفة.فقد منح عضد الدولة لقب تاج الملة[٦٢] ، وفي سنة ٣٨١هــ لقب القــادر الأميــر البويهي بهاء الدولة بلقب غياث الامة[٦٣]، وفي سنة ٤٢٩ هــ زيــد فــي ألقاب جلال الدولة (شاهنشاه الأعظم أي ملك الملوك) وخطــب لــه بــذلك، [٦٤]وفي سنة ٤٣٠ هــ منح جلال الدولة لقب الملك الوزير[٦٥].

---

[٥٩] ابن الاثير: الكامل جـ٦ ص٣١٤.
ــ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٦٣.

[٦٠] مسكويه: جــ٢ ص٧٨.

[٦١] ابن الاثير: جــ٦ ص ٣١٥.

[٦٢] ابن الجوزي:المنتظم جــ٧ ص ٧٨.

[٦٣] المرجع السابق جــ٧ ص١٦٣.

[٦٤] المرجع السابق جــ٨ ص٩٧.

[٦٥] ابن الجوزى: النتظم جــ٨ ص٩٩.

والحقيقة ان سلطات الامير البويهى كانت واسعة جدا وانهم لم يكتفوا بتلك السلطات، بل عملوا على سلب امتيازات الخليفة ومشاركته في اختصاصاته، فقد كانت الخطبة في المساجد رمز سيادة الخليفة، وفي سنة ٣٦٩ هـ أمر عضد الدولة البويهي ان يذكر اسمه مع اسم الخليفة الطائع في خطبة الجمعة[٦٦] والاعجب من هذا ان عضد الدولة اختلف مع الخليفة الطائع فامر الامير البويهى بحذف اسم الخليفة من الخطبة مدة شهرين [٦٧] كما شارك البويهيون الخليفة العباسى في نقش اسمهم على النقود بل تجراوا على حذف لقب امير المؤمنين من الخليفة العباسى وذكروا اسمه فقط، بينما ذكر الامير البويهي مع لقبه وكنيته[٦٨]، فيذكر مثلا لقب الامير عضد الدولة (تاج الملة) وكنيته (ابوشجاع). وكانت الطبول تضرب على أبواب الخلافة في اوقات الصلوات الخمس، وصارت الطبول تضرب على أبواب الامير عضد الدولة ثلاث مرات في اليوم (الغداة والمغرب والعشاء)[٦٩] ، ثم أخذت الطبول تضرب على أبواب الامراء ابى شجاع سلطان الدولة، وابى كاليجار صمصام الدولة، وأبى طاهر جلال الدولة خمس مرات يوميا[٧٠].

---

[٦٦] مسكويه: تجارب الامم ج٢ ص٣٩٦.

[٦٧] ابن الجوزى: المنتظم جـ٧ ص٧٥

[٦٨] مسكويه:جـ٢ ص٨٥

[٦٩] المرجع السابق جـ٢ ص٣٩٦

ابن الجوزي: المنتظم جـ٧ ص٩٢.

[٧٠] ابن الجوزي: المنتظم جـ٨ ص٣٠.

وبدا الضعف ظاهرا في خلفاء بنى العباس أيام البويهيين، كما أن العداء المستمر بين الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين يرجع سببه كما قلنا سابقا الى كون البويهيين من الشيعة الزيدية ويعتقدون ان الخلفاء العباسيين انما هم في الحقيقة مغتصبون للخلافة، وقد أبقى البويهيون الخلفاء العباسيين تمويها على الرعية وتيسرا للامور، ولم يبق للخليفة العباسي من الحكم الا تعيين القضاة وأصحاب الصلاة والخطباء وقوام المساجد، وهذا هو الذى حفظ للخليفة نفوذه الدينى، فصار يؤكده ويسعى الى تثبيت مركزه به، وقد ساعده ذلك على استرجاع سلطته في دور ضعفهم، كما حافظ الخليفة ايضا على احترام الرأى العام وتأييده، وهو ما جعل البويهيين يحسبون للخلافة حسابها حتى في دور قوتهم، وفعلا انتعشت الخلافة العباسية في أواخر حكم البويهيين، ففي عهد القادر، "زاد وقار الدولة العباسية ونما رونقها واخذت أمورها في القوة"[٧١].

وكان الامراء البويهيون يترضون الخلفاء ويظهرون لهم الطاعة ارضاء للجمهور وطعما في أن يمنح الخليفة لهم الالقاب التي كان يهواها امراء بنى بويه، وقد شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الدينى في الاوساط الشعبية، فكانوا يتظاهرون في المناسبات باظهار الشعور الكريم والطاعة الكلية لمقام الخليفة، ففى عقد حفلة العهد الى عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م جلس الطائع على السرير وحوله مئة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم. وضربت ستارة بعثها عضد الدولة ونسأل ان

---

[٧١] ابن الطقطقى: الفخرى ص٢١٤.

تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله، ودخل الاتراك والديلم وليس على أحد منهم حديد، ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من الجانبين، ثم أذن لعضد الدولة فدخل، ثم رفعت الستارة، فقبل عضد الدولة الارض، فارتاع زياد القائد لذلك وقال: ماهذا أيها الملك؟ أهذا هو الله عز وجل ؟ فالتفت الى عبد العزيز بن يوسف وقال له :فهمه فقل له: هذا خليفة الله في الارض. ثم استمر يمشى ويقبل الارض سبع مرات، فالتفت الطائع الى خالص الخادم، فقال: استدنه — فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفعتين فقال له : ادن الى ادن الى ، فدنا ، وقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسى بعد أن كرر عليه:

اجلس. وهو يستعفى فقال له: أقسمت لتجلس — فقبل الكرسى وجلس[٧٢]. هذه صورة جلية للتناقض الكبير في معاملة الخلفاء، فالامراء البويهيون يتظاهرون بالولاء والخضوع للخليفة العباسى امام الناس وفي المناسبات ليكسبوا رضا الجمهور العام ولكي يقال أن الامير البويهي يحترم الخليفة فبذلك يبعدوا عنهم سخط العامة ومعارضتهم، بينما كانوا في خصوصياتهم يثقلون على الخليفة العباسى في مطاليبهم ويسعون الى تجريد الخلافة من مظاهرها وخصائصها وعوامل قوتها.

وخلاصة ماتقدم في علاقة بنى بويه بالخلافة ان السلطة الحقيقية انتقلت من يد الخلفاء الى يد بنى بويه. ومن الطبيعي أن يتوقع الناس يؤمئذ من بنى بويه ان يصلحوا أمورهم.

---

[٧٢] مسكويه: جـ٢ ص٤١٧.

ـ ابن الجوزى: المنتظم ج٧ ص٩٨.

ومما لاشك فيه أن بعض الامراء البويهيين قـامـوا باصـلاحات فـى العراق من ناحية اصلاح نظام الرى وتحسين شؤون الزراعة خاصـة فـى عهدى معز الدولة وعضد الدولة وكانت لتلك الاصلاحات آثار طيبة فى تقدم الزراعة ورفاهية السكان، ولكن الدولة كانت في حاجة بـشكل عـام الـى الاموال وخزانتها كانت لاتسد ولا تكفى نفقات العمران الزراعى والتنظـيم العسكرى، فقد كان الجيش في حاجة كبيرة الى الاموال، ويبدو أن البويهيين لم يكونوا من ذوى الخبرة في التنظيم الاقتصادي، لذا نراهم يتبعون سياسة زراعية عادت على البلاد بخسائر فادحة كمـا أدت الـى خـراب اراضـى السواد، فان معز الدولة أعطى الاقطاعات لجنده دون حساب [٧٣] كما تطرف عضد الدولة وصار يمنح الجند اقطاعات من أراضى الوقف [٧٤]ان هـؤلاء الجند تحكموا في أراضيهم الزراعية التي اقطعوا اياها كما تحكموا بزراعها حسبما شاؤوا [٧٥]، وان هؤلاء الجند لم يكونوا ليدفعوا شيئا يذكر لخزانـة الدولة[٧٦].

ان الاقطاعات التى أقطعها معز الدولة للقواد وكبار الموظفين والجند، انه انما اراد بذلك ربط هؤلاء خاصة الجند بالارض ، لاسترضائهم وتقوية جانبهم، ولكنه من جهة أخرى أدى الى فعل معـاكس، أدى ذلـك الـى أن

---

[٧٣] مسكويه: جـ٢ ص٩٧

[٧٤] ابو شجاع: ذيل مسكويه ص٧١

[٧٥] مسكويه: جـ٢ ص٩٨ ـ ٩٩.

[٧٦] المصدر نفسه جـ٢ ص٩٨.

يحرص القواد على جمع الاموال وحيازة الارباح والتماس الحطائط[٧٧]، وبذلك فقد فشلت محاولات معز الدولة في اصلاح نظام الرى والزراعة، فقد أدت الى ارهاق الخزانة بالاموال لتضاؤل موردها كما كان معز الدولة كثير النفقة على جنده مما أدى الى افلاس الخزانة والى ذلك أشار مسكويه: فتعذر عليه أن يدخر لنوائبه أو أن يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد وموارده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما [٧٨] كما أن الامراء البويهيين الذين حكموا بعد معز الدولة عدا عضد الدولة كانوا على بعد من الفهم السياسى والحزم الادارى مما عجل في ارباك أمور الدولة والاسراع في سقوطها، فقد اشغل "بختيار" نفسه باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء[٧٩]، وكان لاينظر في دخل ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشيه الامور من حيث لايعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتياث والانحلال الى أسوأ ما كان[٨٠]. وقد أساء بعض المسؤولين البويهيين التصرفات التى أدت الى ارباك الحالة الاقتصادية واقلاق حياة الناس

---

(٧٧) الحطائط: التخفيف في مقدار الضمان، أي مقدار المبلغ المفروض دفعه لخزانة الدولة.

(٧٨) مسكويه: جـ ٢ ص٩٩.

(٧٩) المرجع السابق جـ ٢ ص٢٣٤.

(٨٠) مسكويه: جـ ٢ ص٣٠٧، الالتياث: الابطاء والتردد: التاث فلان في عمله: أى أبطا وتردد.

التجارية والمعاشية حتى "بطلت الاسواق وانقطعت المعايش"[٨١]ومما زاد في الوضع سوءا المنازعات التي قامت بين الامراء البويهيين وبالطبع أدى ذلك الى تدهور الحالة السياسية والاقتصادية وأثر تأثيرا كبيرا في حياة الناس المعيشية.

ان البويهيين ارتكبوا خطأ كبيرا في اكثارهم للعناصر الاجنبية التركية في جيشهم، فكان ضعف ادارة الامير منهم سببا في ظهور مطامع الطامعين من مماليكهم الاتراك وبث الشقاق بين الناس والخراب والفساد في البلاد، وقد ظهر الخلاف والنزاع بين الاتراك والديالمة كما دب التنافس بين الفريقين للحصول على الامتيازات والمخصصات، ولجأ البويهيون الى السياسة الهدامة تلك هي محاولة تفضيل فريق على فريق او تقريب عنصر على حساب العنصر الاخر، هذه السياسة التي اتبعها البويهيون والتي كانوا يتوخون من تطبيقها عدم افساح المجال لتوفيق الفريقين ضدهم ولكن النتيجة اتت بخطر جسيم: اضعاف الجيش البويهي بشكل عام كما أحدثت انقساما خطيرا في صفوفه، وادى الى أمر أخطر من هذا، ذلك ان الديالمة والاتراك فقدوا الثقة بالامير، ولم تعد له تلك الثقة وذلك الاحترام مكانا في نفوسهم، وأصبحت ازالة النزاع القائم بين الديلم والاتراك غير ممكنة. وقد حاول بختيار ان يقوم بمثل هذه المحاولة ولكنه فشل في مسعاه سنة ٣٦٠ هـ / ٩٦٩ م[٨٢]. وفي سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م أفلست الخزانة العامة

---

[٨١] المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٠٨.

[٨٢] المرجع السابق: جـ٢ ص٢٨٢.

فحاول الامير البويهى بختيار ان يقوم بحركة ولكنها في الحقيقة كانت غير موفقة، فقد حاول ان يضع يده في اقطاع سبكتكين قائد الاتراك، فثار الاتراك في بغداد واستولوا على المدينة وأخرجوا بختيار منها وحدثت في بغداد اضطرابات شديدة، فقد نزل الاتراك في دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها، وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لانه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء واحرقت الكرخ حريقا ثانيا[٨٣] وظهرت السنة عليهم[٨٤]. واستنجد بختيار بركن الدولة وبعضد الدولة[٨٥] وسار عضد الدولة الى بغداد واعاد النظام الى بغداد[٨٦].

وكانت السياسة البويهية في العراق بشكل عام غير مرضية فالبويهيون اتبعوا سياسة مذهبية تقوم على مناصرة المذهب الشيعى، وهذا بالطبع ادى الى احداث الفرقة في صفوف الشعب الواحد، وكان أثره عظيما في تدمير الروح الوطنية وتمزق الصف الوطنى، كما ادت تلك الفرقة الى احداث القلاقل والاظطرابات والفتن، كما أن سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية أدى الى ظهور العيارين وانتشارهم في بغداد واستغلال الكثير منهم الفرص للسلب والنهب.

---

[٨٣] الحريق الاول حصل سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م راجع ابن الاثير

[٨٤] ابن الاثير: الكامل جـ٧ ص٥٣.

[٨٥] المرجع السابق جـ ٧ ص ٥٦.

[٨٦] المرجع السابق جـ٧ ص ٥٩ ـ ٦٠.

وحركة العيارين التي برزت في هذا العصر لم تكن الا وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة وقتذاك، والمؤرخون يــصمون العيارين بأنهم لصوص وأن حركتهم لم تقم الا لاكثار الفوضـــى والفــساد، ولكننا بأمكاننا أن نتلمس في بعض أعمال كبار العيارين صفات الانــسانية والرجولة. ويبدو ان لحركة الفتوة صلة بحركة العيارين، فالعيارون يسمون طريقتهم الفتوة وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب[٨٧].ومن مبادئهم ان الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة[٨٨]، وقال الجنيد البغدادي:، الفتوة كف الاذى وبذل الندى[٨٩]، وللعيارين مبادئ سامية انسانية جديرة بالتفحص والدراسة، واشــتهر فــي هــذا العــصر البرجمى العيار الذي استبد ببغداد من سنة ٤٢١ ــ ٤٢٥ هـ/ ١٠٣٠ ــ ١٠٣٣ م وبلغ من عجز السلطة تجاهه ان العامة ثاروا بالخطيب في صلاة الجمعة وقالوا له أما أن تخطب للبرجمـــى والا فــلا تخطــب لــسلطان ولا غيره[٩٠]. وكان البرجمى قد تعهد سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م بحفظ الامــن وكان يجبى الضرائب في الاسواق وارتفاع المواخير والقيــان لنفــسه[٩١]،

---

[٨٧] ابن الحوزي: تلبيس ابليس ص٣٩٢.

[٨٨] ابن الجوزي: تلبيس ابليس ص٣٩٢.

[٨٩] القشيرى: الرسالة القشيرية ص١١٣.

[٩٠] ابن الاثير: جــ ٨ ص٧.

[٩١] ابن الجوزى:المنتظم جــ ٨ ص ٧٨.

ويقول عنه ابن الاثير: وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه[٩٢].

ولفظه العيار لغة، الكثير المجيئ والذهاب في الارض[٩٣]، وقيل هو الذكى الكثير التطواف[٩٤]، وحكى الفراء: رجل عيار اذا كان كثير التطواف والحركة ذكيا[٩٥]. وقال ابن الاعرابى: والعرب تمدح بالعيار وتذم به، يقال غلام عيار نشيط في المعاصى، وغلام عيار نشيط في طاعة الله عز وجل[٩٦]. وقد ركز العيارون هجماتهم على بيوت الاغنياء وكبار التجار وأصحاب الشرط والمتنفذين فالعيار المعروف بعزيز ظهر في باب البصرة من محلات بغداد، التحق به كثير من الذعار وطرح النار في المحال، وطلب أصحاب الشرط ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق التمارين وطالب بضرائب الامتعة وجبى ارتفاع الاسواق الباقية وكاشف السلطان وأصحابه ونادى فيهم وكان ينزل الى السقى فيطالب بالضرائب واصحاب السلطان يرونه من الجانب الآخر[٩٧] ويبدو ان العيارين كانوا من السنة والشيعة ففي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م زاد أمر العيارين والفساد ببغداد وكان فيهم من هو

---

[٩٢] ابن الاثير: جـ ٨ ص ٧.

[٩٣] ابن منظور:لسان العرب جـ٥ ص٣٠١.

[٩٤] الزبيدى: تاج العروس جـ ٣ ص٤٣٤.

[٩٥] ابن منظور: لسان العرب جـ ٥ ص ٣٠١.

[٩٦] الزبيدى: تاج العروس جـ ٣ ص٤٣٤.

[٩٧] المنتظم جـ ٧ ص ١٧٤ (الذعار: الذين يبثون الخوف بين الناس)

عباسي وعلوي[٩٨] فواصلوا العملات واخذوا الامــوال وقتلــوا، واشــراف الناس معهم[٩٩]. وكانت للعيارين تنظيمات خاصة بهم، وتميــزوا بــدرجات معلومة في السلم الرئاسى، ومن درجاتهم، المتقدم، وكان البرجمى على ما يظهر يحمل لقب "متقدم"[١٠٠]، ودرجة القائد[١٠١]، ودرجة الرئيس، فقد كان لكل محله رئيس وقد يجتمع فيها عدة رؤساء[١٠٢]،وفــي أواخــر العــصر البويهى أخذت الدولة تستعين بالعيارين ففي سنة ٤٢١ هـــ / ١٠٣٠ م، تقلد أبو محمد النسوى النظر في المعونة ولقب الناصح واستحجبْ وخلــع عليه، واستدعى جماعة العيارين فأقامهم أعوانا واصــحاب مــسالح[١٠٣].

وانتشر العيارون بكثرة في بغداد بشكل خاص ومع وجود بعض العيــارين من يحمل روح الفتوة ومبادئها السامية ولكن ســوء الاوضــاع وانهيــار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي جعل الكثير من العاطلين والشقاة ينخرطون فى صفوف العيارين، الامر الذى أدى الى ان تصطبغ هذه الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان، ومهما يكن فظهــور العيــارين وانتــشارهم واستبدادهم في بعض الاوقات بالامور دليل واضح للتردى الــشامل الــذى أصاب الدولة العباسية والحكم البويهى في العــراق. كــان كــل المــشرق

---

[٩٨] الصابى: تحفة الامراء جـ ٨ ص ٤٦٢ و ص ٤٦٤.

[٩٩] المنتظم جـ ٧ ص ٢٢٠ / الصابى: تحفة الامراء جـ ٨ ص٤٦٢.

[١٠٠] المنتظم جـ٨ ص٤٧

[١٠١] المنتظم جـ ٧ ص ٧٥ / مسكويه جـ ٢ ص ٣٣٧ الهامش.

[١٠٢] مسكويه: جـ ٢ ص٣٠٥.

[١٠٣] المنتظم جـ٨ ص٤٩.

الاسلامي الواقع الى شرقى العراق مقسما علـــى الـــسامانين والغزنـــويين وعظم أمر الدولة الغزنوية حتى صارت تسيطر على المشرق كله من حدود الهند الى حدود خراسان الشمالية وهي دولة اتخذت من غرنة عاضمة لها، وكان محمود الغزنوى قد استولى على الملك ســنة ٣٨٩ هــــ / ٩٨٨ م وباستيلاء الاتراك الغزنويين على خراسان وما يجاورهـــا يكــون الفــرع البويهى قد زال سلطانه في الري وبلاد الجبل، ويقول براون: وانه والـــي لبني بويه ضرباته التي انتهيت باستيلائه على اصبهان [١٠٤] كما ان محمود الغزنوى قام بحملات واسعة في بلاد الهند وقد نجح في تلك الحملات، حيث كان عاملا مهما فِي نشر الاسلام في تلك البلاد، ويقول ستانلى لينبول : ان حملات الغزنويين في بلاد الهند واتخاذهم مدينة لاهور مقرا لهم، يمكن عدّ ذلك بدء حكم المسلمين الحقيقى في هذه البلاد[١٠٥]، وبالطبع كـــان لنجـــاح الغزنويين في ايران اثره الكبير في اضعاف الجناح البويهى في العراق.

والى جانب تلك الفوضى التي استعر أوارها في جسم الدولة العباسية والتى كانت عوامل هدم لها، فان البـــويهيين كـــانوا قـــد قـــاموا بـــبعض الاصلاحات المهمة، والتاريخ يذكر ان عضد الدولة البويهى كان من أنـــشط الحكام البويهيين في الاصلاحات العمرانية، فقد شيد المساجد والمستشفيات وغيرها من المبانى العامة، كما أحتضن العلماء وطلبة العلم[١٠٦]ومن اشهر

---

[١٠٤] Brown:literary history of persia, vol I p 376

[١٠٥] Lane poole : The muhammadan Dynasties, p.284

[١٠٦] ابو شجاع: ذيل تاريخ مسكويه ج١ ص٦٩

أعماله المهمة المارستان الذى عرف في التـاريخ بالمارسـتان العـضدى والذي تمت عمارته سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م وقد أوقف عليه عضد الدولة أوقافا كثيرة[١٠٧]، وقد وردت اشارات عديدة للمؤرخين والرحالة في وصف بنائه واستمرار العمل فيه[١٠٨].

كما انشئت في بغداد "دار العلم" التي بناها أبو نصر بن اردشير وزير السلطان بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م في الجانب الغربى من بغداد وقد احتوت من الكتب مازاد على العشرة آلاف مجلد من الكتـب الخطيـة النفيسة[١٠٩] وذكر ابن الاثير انها شيدت سـنة ٣٨٣ هـــ / ٩٩٣ م[١١٠]. وكانت هذه الدار مركز بحث ودراسة، يفد اليها الادباء والعلماء والفلاسفة والحكماء ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف العربـى أبـو العـلاء المعرى.

ولا بد لنا من ان نشير الى استبداد الامراء البويهيين وتعسفهم فـى الحكم واستهتارهم في معاملة الموظفين، حتى وزرائهم، وقد ضاعت هيبـة الوزارة وسقطت كرامة الوزراء، وقد ابطل البويهيون رسم الوزارة، وقـام

---

(١٠٧) راجع ابن الجوزى: المنتظم جـ ٧ ص ١١٢ ـ ١١٣.

ـ بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين ص ١٣٥.

ـ ابن جبير: الرحلة ص ١٧٩.

(١٠٨) ابن الجوزى: المنتظم جـ ٧ ص ١٧٢.

العقيلي: مختصر المناقب ص ٢٨.

(١٠٩) ابن الاثير: جـ ٢ ص ٧٨.

(١١٠) مسكويه: جـ ٢ ص ٧٨

ـ المسعودى: التنبيه والاشراف ص ٣٩٩

كاتب الامير مقام الوزير، وقلنا ان الوزراء فقدوا نفوذهم القديم وأصبحوا في عصر البويهيين تحت رحمة امرائهم لاحول لهم ولا قوة، ومن امثلة المعاملة السيئة للوزراء ان معز الدولة البويهي ضرب وزيره أبا محمد المهلبي المتوفي سنة ٣٥١ هـ[١١١]، مئة وخمسين مقرعة ، ووكل به في داره ولكنه لم يعزله من وزارته، وشاور معز الدولة من حضره وقال: هل يجوز ان استنيم الى هذا الرجل وقد لحقه مني هذا الكروه العظيم؟ فقال أحد من استشاره: ان مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب، حتى كان لا يطيق المشي، ولا يقدر على الجلوس لما حل به، ثم خلع عليه ورده الى امره [١١٢]، ولما تولى بختيار بن معز الدولة السلطنة، استوزر صاحب مطبخه وذلك سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م[١١٣].

ويبدو ان البويهيين لم يكونوا ليهتموا باختيار العناصر ذات الكفاءة والسمعة الطيبة لمنصب الوزارء، وأخذوا منذ عهد عضد الدولة يختارون شخصيتين لمنصب الوزارة، أحدهما يقيم في فارس والثاني يقيم في بغداد، وكذلك سار على هذا النهج بهاء الدولة فعين وزيرين وجعل أحدهما مدبرا لامور العراق[١١٤]، ولما مات الصاحب بن عباد ٣٨٤ / ٩٩٤ م وقعت مساومة شائنة حول هذا المنصب وذلك ان أحد الولاة أرسل يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف درهم فبذل الوزير الذي في الوزارة آنذاك سنتة آلاف على اقراره في الوزارة ، فأشرك السلطان فخر الدولة بينهما في النظر، ورتب أمورهما على أن يجلسا في دست واحد، ويكون التوقيع لهذا يوما والعلامة للاخر، وكانا يتقارعان على من يخرج لقيادة الجيوش، ثم سعت

---

(١١١) مسكويه: جـ٢ ص ١٤٥.

(١١٢) مسكويه: جـ٢ ص ١٤٥.

(١١٣) مسكويه: جـ٢ ص٢٨٥ / ابن الاثير : جـ٧ ص ٣٦٢..

(١١٤) ابن الاثير: جـ ٧ ص ١٤٥.

بينهما السعاة ودبر احدهما للآخر فقتله[١١٥]. فالخلافة وقدبلغت حدًا كبيــرا من الضعف وبدا التجزؤ فيها واضحا وجسيما، واستقلت أطراف مثل الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر، والدولة الغزنوية التي امتدت مــن خراسان حتى الهند، واستقل الفاطميون بمصروالشام وشبه جزيرة العــرب كما استولى البريديون على البصرة والاهواز وواسط، وأصبحت البحــرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطى، ولم يبق للخليفة العباسى شأن الا فــي بغداد والسلطة الفعلية للحاكم البويهى، هذا من الناحية الادارية والسياسية، ولكن كان هناك للخليفة تأثير دينى في كثير من الاقاليم الاســلامية، وفــي عهد البويهيين أصبح في العالم الاسلامي ثلاث خلفاء، خليفة عباسى فــي بغداد، وخليفة أموى في الاندلس، وخليفة فاطمى في القاهرة، وهذا بالطبع من مظاهر ضعف الخلافة العباسية. وبالرغم من أن الخلافة العباسية كانت ضعيفة فانها ظلت تتنازع البقاء طوال العصر البويهى، اذ لولا الاعتبــارات الشخصية وخوف البويهيين على نفوذهم من الــضياع، لكــان بمقــدورهم القضاء على الخلافة العباسية،والدعوة للخليفة الفاطمى، يروى ابن الاثير: ان معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في اخراج الخلافة مــن العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين، فكلهم اشار عليه بذلك، ماعدا بعض خواصه فانه قال :ليس هذا برأى فانك اليوم مــع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ولو امــرتهم بقتلــه لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معــك مــن تعتقد أنت واصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه. فأعرض عــن ذلك[١١٦].

---

(١١٥) ياقوت الحموى: ارشاد الاريب جـ ١ ص ٧١.

(١١٦) ابن الاثير: جـ ٦ ص ٣١٥.

وكان المجتمع في بغداد تسوده الخصومات الطائفية التي اثارها البويهيون ومما زاد في الطين بلة، ان الاتراك الذين استخدمهم البويهيون كانوا يتطرفون للسنة، والديالمة يتطرفون للشيعة، وهذا بالطبع جر على البلاد المصائب، ففي سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧١ م قامت فتنة بالكرخ فارسل الوزير حاجبه لقتال العامة، وكان شديد العصبية للسنة، فألقى النار في اماكن كثيرة، فاحترق الكرخ حريقا عظيما، وكان عدد من احترق فيه سبعة عشر ألف انسان وثلاث مئة دكان وثلاثة وثلاثين مسجدا(١١٧)، وفي تلك الاحوال التي كانت ماثلة في بغداد يقول ابن الاثير: وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق في المحال واستمر الفساد(١١٨).

واخيرا أفل نجم بني بويه، واضمحلت دولتهم وتقلصت مواردهم المالية حتى أفلست الخزانة، واختلت المملكة أيام جلال الدولة وقطعت عنه المادة حتى أخرج ثيابه وآلاته وباعها في الاسواق، وخلت داره من حاجب وفراش وبواب، وصار اكثر الابواب مغلقا، وانقطع ضرب الطبل له في أكثر الايام لانقطاع الطبالين (١١٩)وفي سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م نهب الاتراك دار السلطان جلال الدولة وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا اسحق السهلي فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد، وقطع الاتراك خطبة السلطان جلال الدولة(١٢٠). وهكذا فالامر في اواخر العهود البويهية كان ينذر بالخطر كما كان ينبئ باحداث جديدة، وفي هذا

---

(١١٧) المنتظم جـ٧ ص ٦٠.

ابن الاثير: جـ ٧ ص٤٩.

(١١٨) ابن الاثير: جـ ٧ ص١٥٦.

(١١٩) ابن الاثير: جـ ٧ ص٣٥٦.

(١٢٠) ابن الاثير: جـ ٨ ص٢.

المنتظم: جـ ٨ ص ٦٢

الوقت كان السلاجقة الاتراك يتوسعون في ايران وصار نفوذهم يقوى يوما بعد يوم، ووجد طغرلبك الفرصة سانحة لدخول العراق والقضاء على الدولة البويهية، فسار في المحرم من سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م الى همدان وأظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى،فأمر عماله في المناطق المجاورة للعراق بجمع الجند، ثم دخل العراق، فأسرع الملك الرحيم آخر أمراء بنى بويه الى بغداد، واستقر الرأي بينه وبين الخليفة العباسى القائم بأمر الله على التعاون مع طغرلبك [١٢١] ودخل طغرلبك بغداد والقى القبض على الملك الرحيم وأرسله اسيرا الى الرى فألقى في السجن حتى توفى عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م، وهكذا قضى على الدولة البويهية وزال نفوذها من العراق وايران.

ومن الجدير بالذكر قبل ان ننتقل الى فصل جديد، ان الكثير من مظاهر وملامح الحكم البويهى ستتكرر خلال حكم السلاجقة للعراق، فدخول السلاجقة الى العراق يكاد يكون بالطريقة البويهية نفسها. ونلاحظ ان استبداد ملوك بنى بويه كاستبداد سلاطين السلاجقة كما كانت نظرة السلاجقة الى الخليفة نظرة البويهيين نفسها، اذ اعتقد السلطان السلجوقى في نفسه انه الحاكم الاول وصاحب الفضل في حماية الخليفة، كما ان السلاطين السلاجقة اخذوا يتدخلون في شؤون الخلافة كما تدخل ملوك بنى بويه في أحوالها والاستحواذ على سلطاتها وخصائصها.

---

[١٢١] ابن الاثير: جـ٧ ص ٣٥٦.

المنتظم: جـ ٨ ص ٦٤.

وعرفنا ان العصر البويهى كان عصرا يموج بالفتن والاضطرابات، التي كانت لها نتائج خطيرة في حياة السكان وامنهم، واستمرت تلك الفتن والاضطرابات في العصر السلجوقى بشكل عنيف أيضا، فكثرت الفتن والقلاقل بين طائفتى السنة والشيعة، وبين الحنابلة والاشاعرة.

وان العيارين الذين قاموا بأعمال عنيفة في العصر البويهى في العراق نراهم يقومون بالدور نفسه فى العصر السلجوقى، خاصة عندما يجدون مجالا لاعمالهم أيام الحروب والمنازعات التي تقع بين الملوك والسلاطين السلاجقة، أو اوقات الحروب والمشاحنات التي تحصل بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة.

كما نلاحظ ان الوضع الاقتصادي ساء في الحالتين ، في حالتي الحكم البويهي والحكم السلجوقي، وضج الناس من كثرة مواسم الغلاء واستمرار الازمات الاقتصادية نتيجة الحروب وكثرة المنازعات والفتن.

وأخيرا كان البويهيون قد وزعوا الكثير من الاقطاعات على قوادهم وخواصهم، كذلك اتبع السلاجقة تطبيق ذلك النظام ولكن بشكل أوسع وستكون له نتائج خطيرة في حياة الدولة السلجوقية، والذي سيؤدي الى اضعافها وسقوطها كما سنرى في الفصول التالية.

..

الفصل الثاني

الدولة السلجوقية
منذ قيامها الى انفصال سلاجقة العراق

السلاجقة . مناطقهم. اصلهم. سلجوق بن دقاق. أسباب هجرتهم. أولاد سلجوق. اسرائيل بن سلجوق. خوف الغزنويين من السلاجقة. محمود الغزنوي يوقع باسرائيل. عبور السلاجقة الى خرسان. ميكائيل يثبت أقدام السلاجقة في خراسان. طغرلبك وجغرى يوحدان صفوف السلاجقة: اتفاق السلاجقة والسلطان مسعود الغزنوي. أثر الصلح بين السلاجقة والغزنويين. الحروب بين السلاجقة والغزنويين، دخول طغرل نيسابور، ابتداء دولة السلاجقة. موقعة دندانقان. نتائج الموقعة. توسع السلاجقة في ايران. تكتل السلاجقة ووحدة كلمتهم. تقسيم المملكة على الامراء. ارتباط الامراء بالسلطان. اتصال السلاجقة بالخليفة العباسي. الخليفة العباسي يرسل رسولا الى طغرلبك. دخول السلاجقة بغداد. نهاية البويهيين زواج الخليفة العباسي من ارسلان خاتون. ثورة البساسيري. سبب الثورة. المؤيد في الدين واثره في ثورة البساسيري. ابراهيم ينال وخروجه على السلطان. علاقة ابراهيم ينال بالبساسيري. القضاء على ثورة البساسيري. مغادرة السلطان بغداد وتعيين أول شحنة فيها. زواج طغرلبك من ابنة الخليفة. وفاة طغرلبك. سيطرة الب ارسلان على العرش السلجوقي. المشاكل التي واجهت الب ارسلان. الوزير نظام الملك. اتساع الدولة السلجوقية. موقعة ـلاذ كرد. مقتل الب ارسلان. تولي ملكشاه السلطنة. العلاقات بين الخلافة

والسلاجقة. زيارات ملكشاه لبغداد. وفاة ملكشاه. تولية بركيارق. المــشاكل التي واجهت بركيارق. الصراع بين الوزراء الــسلاجقة. التنــافس علــى السلطنة. وفاة بركيارق. تولية ملكشاه بن بركيارق. منافسة محمد ملكشاه لملكشاه بن بركيارق. بداية الانقسامات وضعف الدولــة. اســتفحال امــر الباطنية. السلطان محمد يحارب الباطنية . تأثر الخلافة بالحوادث السائدة. السلطان سنجر. ظهور الدولة القره خطا والخوارزمية في عصر.ســنجر. ضعف قوة سنجر سبب كثرة الحروب وفاة سنجر وانقــسام المملكــة الــى دويلات متعددة من ضمنها سلاجقة العراق .

..

السلاجقة فرع من قبائل الغز انسابوا حوالي ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م من سهول التركستان، وسكنوا أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر[١]، واعتنقوا الدين الاسلامي على وفق مبادئ المذهب الحنفي الذي أخـذه التـرك عـن السامانيين حيث ساد في دولتهم[٢]. وقد سمي هذا الفرع بالسلاجقة نـسبة الى جدهم الاعلى سلجوق بن دقاق[٣]، وكان محترم الجانب بين فرسانه[٤]، شهما صاحب رأي وتدبير[٥]، وكلمة دقاق في التركية معناها القوس مـن الحديد[٦]، ويبدو ان سلجوق هو الذي تمكن بطموحه وقوة شخصيته من ان يكون لقبيلته كيانا، فعلا شأنها بفضل سعيه ونشاطه .

ان سلجوق بن دقاق قدم مـساعدات عـسكرية للـسامانيين الـذين استنجدوا به عندما اغار "هرون بن ايلك خان" على بعض ممتلكاتهم، حيث ارسل ولده ارسلان في جماعة من السلاجقة[٧]، وكان لهـذه المـساعدات أثرها الطيب في نفوس السامانيين، فأذنوا للسلاجقة بالمرور عبر بلادهـم والاستقرار عند شواطئ نهر سيحون حيث اتخذوا مدينـة "جنـد" قاعـدة لهم[٨]، وصاروا يستقرون في بلاد ما وراء النهر بعد ان كملت هجرتهم من

---

[١] ابن العميد: تاريخ المسلمين ص ٢٦٧ .

[٢] بارتولد: تاريخ الترك ص ١٠٨ .

[٣] Ency of Islam, vol, Iv. P.208 .

- الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٢ .

[٤] الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٧ .

[٥] اخبار الدولة السلجوقية ص ١ .

- ابن الاثير جـ ٩ ص ١٦٣ .

[٦] ابن الاثير جـ ٨ ص ٢٢ .

[٧] ابن الاثير جـ ٨ ص ٢٢: ايلك خان من ملوك ما وراء النهر .

[٨] اخبار الدولة السلجوقية ص ٢ .

- ابن الاثير جـ ٨ ص ٢٢ .

-الفخري ص ٢١٥ .

التركستان[٩]. وكانت هجرة السلاجقة من التركستان كما يراها بعض المؤرخين نتيجة ازدحام ديارهم وضيق مراعيهم[١٠] .

وكان لسلجوق بن دقاق أربعة أولاد هم: اسرائيل (بيغو ارسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل[١١] ، وخلف اسرائيل ولدا اسمه قتلمش والذي هو رأس سلاجقة الروم وخلف ميكائيل ولدين، طغرلبك وجغري. وقاد اسرائيل قومه بعد وفاة والده سلجوق، وكانت الدولة السامانية قد انهارت سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م وكانت أراضي السلاجقة قد ضاقت بهم فاخذوا يتنقلون ما بين (نور بخاري) في الشتاء وفي (سغد سمرقند) في الصيف[١٢]، ومن الطبيعي ان هذا من حالات حياة التنقل التي تعودها السلاجقة، ولا يفوتنا ان السلاجقة من الاقوام التي اصطبغت بالصبغة القبلية، وعاشوا عيشة التنقل من مكان الى آخر طلبا للرزق وهم بهذا يختلفون عن الساميين[١٣]، الذين كانوا يمتازون بالاستقرار وبتعرفهم على الحياة الحضارية .

ان ظهور السلاجقة كقوة جديدة، أصبح يحسب لها الآخرون حسابا في تقدير الموقف الخطير الذي سيطر في هذه المنطقة من جراء توسع

---

(٩) حمد الله المستوفي: كزيدة ص ٤٣٤ .

(١٠) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٥ .

(١١) الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٢ .

- الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٥ - ١٤٦ .

اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ١٧ .

(١٢) راحة الصدور ص ١٤٥ .

(١٣) العروضي السمرقندي: جهار مقاله ص ٢٣ .

القوى السلجوقية، فأخذ الغزنويون يتوجسون خيفة من ذلك، لذا دبر محمود الغزنوي حيلة للقبض على اسرائيل، فارسل رسالة الى السلاجقة جاء فيها: "انني لفي عجب من تدبيركم وعقلكم، ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار لـم تطلبوا منا طلبا أو تلتمسوا ملتمسا، واني لشديد الرغبـة فـي مـصادقتكم واستمداد المعونة منكم ولست في غنى على الاطلاق عن معاونتكم، فاذا لم يستطع جميع الاخوة الحضور الي فليختاروا واحدا منهم يفد الـى مقـرى. ولقد اتخذت مقامي على شاطئ النهر حتى تقصر المسافة بيني وبينكم، فاذا جاءني واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت معه المواثيق[١٤].

ووصلت رسالة محمود الى السلاجقة، واختـاروا أن يرسـلوا اليـه اسرائيل وكان المقدم المحترم بينهم[١٥]، ويذكر اليزدي: ان الاخوة اقترعوا فوقعت القرعة على اسرائيل[١٦]، فسار اسرائيل الى محمود الغزنوي مـع جيش كبير، ولكن محموداً عمد الى الحيلة، فأرسل اليه رسـولا يـستقبله ويقول له: لسنا الآن في حاجة الى الاستمداد بجيشك وانما جملة مقصودنا ان ننعم برؤيتك والا ستظاهر بك، فاترك الجيش مكانه وتعـال أنـت مـع خواصك وأعيان رجالك[١٧]، فترك اسرائيل جيشه وذهب الى مقابلة السلطان

---

(١٤) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٧ – ١٤٨.

- اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٢١ – ٢٢.

(١٥) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٨.

(١٦) اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٢١.

(١٧) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٨.

- اليزدي: العراضة والحكاية السلجوقية ص ٢٢.

محمود مع أشخاص معدودين من رجاله، فأكرم محمود وقادته ورحب به، ودارت بين محمود الغزنوي واسرائيل محادثة فهم منها السلطان محمود الغزنوي بقوة السلاجقة وكثرة جيوشهم، فرأى من الاصوب حسب رأيه، ان يحتجز اسرائيل عنده[١٨]، وبذلك خالف ونقض العهد لقيامه بعمل يخالف العرف والتقليد الاسلاميين. وحمل السلطان محمود الغزنوي، اسرائيل بن سلجوق الى الهند وحبسه في قلعة كالنجر[١٩]، وبقي في تلك القلعة مدة سبع سنوات، ثم حاول السلاجقة انقاذه من سجنه ولكن حراس القلعة اكتشفوا الامر فشددوا القيود عليه وظل سجينا حتى مات[٢٠] .

كانت لتلك الحادثة أثرها المؤلم في نفوس السلاجقة الذين صمموا على الثأر كما ازدادوا حذرا وحيطة، وتولى قيادتهم ميكائيل وقد نجح في نقلهم الى اقليم خراسان[٢١] وذلك أن السلاجقة أرسلوا الى السلطان محمود الغزنوي رسالة جاء فيها: ان مقامنا اصبح يضيق بنا، وان مراعينا اصبحت لا تفي بحاجة مواشينا، فاذن لنا ان نعبر النهر وان نجعل مقامنا بين "تسا" و "باورد"[٢٢] ، وتقدم حاكم طوس المدعو "ارسلان الجاذب"

---

(١٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٩ .

(١٩) المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٢٠) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٢١) البنداري: آل سلجوق ص ٥ .

(٢٢) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٣ .

-اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٢٩ .

- كرديزي: زين الاخبار ص ٦٧ .

بنصيحة للسلطان محمود: أن ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور الى خراسان، فانهم كثيرون يملكون العدة والعتاد، واني أخشى ان يكونوا سببا في متاعب لا يمكن تلافيها وتداركها[٢٣] .

ووافق السلطان محمود الغزنوي على عبور السلاجقة النهر وكان ذلك في حدود سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م[٢٤]، وقد نشأ لميكائيل ولدان احدهما "جغري بك" والآخر "أبو طالب طغرلبك محمد"[٢٥]. وقد تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام السلاجقة في اقليم خراسان وتوحيد صفوفهم ولكن الظروف في خراسان كانت غير مواتية لميكائيل، فان أهل بعض المدن في هذا الاقليم مثل أهل نسا وباورد، اشتكوا السلطان محمود الغزنوي سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م وطلبوا منه ابعاد السلاجقة من جوارهم، فأمر السلطان محمود الغزنوي والى مدينة طوس باجلائهم فهاجمهم، ودافع السلاجقة دفاعا مجيدا ودارت معارك عنيفة انتصر فيها السلاجقة الا ان حضور السلطان محمود مع نجدات كبيرة، أحال ذلك النصر الى هزيمة نكراء للسلاجقة[٢٦] .

---

[٢٣] الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٣- اليزدي: العراضة ص ٢٩ - الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٣: ذكر ان ارسلان طلب من السلطان محمود ان يقطع ابهام كل واحد من السلاجقة ليأمن شرهم فامتنع محمود الغزنوي عن قبول هذا الرأي .

- ابن الاثير: ذكر الحادثة كما ذكرها صاحب اخبار الدولة السلجوقية جـ ٨ ص ٢٢ .

[٢٤] حمد الله المستوفي: تاريخ كزيدة ص ٤٣٥ .

[٢٥] راحة الصدور : ص ١٥٤ .

[٢٦] كرديزي: زين الاخبار ص ٧٠ - ٧١ .

وفي سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م توفي السلطان محمود الغزنوي، فانتهز ابنا ميكائيل جغري وطغرلبك، اللذان جمعا السلاجقة ووحدا صفوفهم، فحاولا الاخذ بالثأر من الغزنويين، وصارا يوسعان رقعة أراضيهم ثم اصطدما بوالي نيسابور (سوري بن المعتز)[٢٧] الذي وقف امام السلاجقة سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤م ولكنهم انتصروا عليه بالرغم من مساعدات السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوي، وأوقع السلاجقة خسائر فادحة في جيش مسعود واستولوا على ما قيمته عشرة ملايين من الدنانير من الالبسة والأمتعة والدواب[٢٨]. واضطر السلطان مسعود الى ترك ميدان حرب السلاجقة والتوجه الى الهند وعقد الصلح معهم، ويبدو ان السلطان مسعود الغزنوي قد واتته رسل السلاجقة يحملون رسالة أمرائهم وكانت تلك الرسالة[٢٩] تنم عن سياسة حكيمة وبعد نظر من السلاجقة برغم

---

(٢٧) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٤ .

(٢٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٦

(٢٩) نص الرسالة:- "وقد اخطأنا في اختيار سوري للوساطة والشفاعة عند السلطان فانه متهور ولا يرعى المصلحة في عواقب الامور وانتهى الامر الى ان سير السلطان الينا جيشا، ومعاذ الله ماكنا نجرؤ على امتشاق الحسام في وجه الجيش المنصور، لولا انهم انقضوا على دورنا كما تنقض الذئاب على الحملان واعتدوا على نسائنا واطفالنا، مع انا كنا حاصلين على الامان، فلم نجد بدا من ان ندافع عن أنفسنا، والنفس عزيزة، وانا نؤكد ما ذكرنا اول الامر، وكل ما حدث لم يكن الا من قبيل عين حاسدة أصابت الجيش المنصور على الرغم منا. ولما كان للاستاذ الرئيس سابقة معرفتنا في خوارزم، اثناء حكم خوارزمشاه التونتاش، وله بنا صلة أكل الخبز والملح معا فجدير به ان يتفضل بالوساطة والشفاعة لنا عند السلطان، فيستعطف قلبه ليحنو علينا، ويقبل اعذارنا، ويعيد رسولنا موفقا مكرما لتطمئن بذلك قلوبنا، وافضل من هذا ان يوفد الاستاذ الرئيس الينا احد ثقاته مع هذا الرسول ليسمع أقوالنا ويتأكد من عبوديتنا واخلاصنا وبأنا لا نبغي غير السلم" .
راجع: البيهقي: تاريخ البيهقي ص ٥٢٥ – ٥٢٦ .

انتصارهم وارى ان السلاجقه فكروا بعيدا في موضوع طلب المصالحة والعفو من السلطان لكي يركنوا الى الراحة والاستقرار وليكسبوا شيئا من البلاد فيه اعتراف السلطان بحقهم في ذلك الشئ وفعلا وبعد مجادثات ومفاوضات بين رسل السلاجقة والسلطان ومستشاريه تم الاتفاق على ما يلي :

١- تعطي الى بيغو وطغرل وداود ولايات نساوفراوة ودهستان .

٢- تعطي لكل واحد من هؤلاء خلعة ومنشور ولواء .

٣- ان يذهب القاضي أبو نصر الصيني ويسلمهم الخلع بنفسه .

٤- ان يأخذ القاضي أبو نصر الصيني عليهم الميثاق بالوفاء بالعهد مع السلطان .

٥- أن يقتصر هؤلاء على هذه الولايات الثلاث .

٦- ان يأتى أحد هؤلاء الثلاثة الى الدركاه[٣٠] ليكون في خدمة السلطان.

وقد نظمت هذه الاتفاقية، وكتبت دهستان باسم داود نسا باسم طغرل وفراوة باسم بيغو، ثم وقعها السلطان ووجهت اليهم رسائل منه، بلقب الدهقان وأعدت لهم ثلاث خلع كما هو الرسم في خلع الولاة، تشتمل الواحدة على قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة وجواد وسرج وكمر من ذهب برسم التركمان وثلاثين ثوبا غير مخيطة لكل واحد منهم[٣١].

لقد كان لهذا الصلح اثره الكبير في بعث القوة والاستقرار للسلاجقة، وصار أمرهم يعلو في نطاق الدهاقين الولاة بمرور الايام وأخذوا في توسيع

---

[٣٠] الدركاه: البلاط .

[٣١] البيهقي: تاريخ البيهقى ص ٥٢٨ .

رقعة أراضيهم التي ضاقت بهم، وعاد مسعود الغزنوي من بلاد الهند الى غزنة سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م، وعلم بارتفاع شأن السلاجقة وابعادهم عن خراسان[٣٢]، ولكن أمير خراسان أجابه برسالة قال فيها: ان أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيري ان نقاومهم[٣٣]. ولكن السلطان مسعود ألح على أمير خراسان بضرورة الحرب والقيام لها، فانصاع هذا الامير الى أمر السلطان واستعد للحرب، وما ان اصطدم بالسلاجقة الا وكان الفشل حليف أمير خراسان[٣٤]، الذي انهزم في ميدان المعركة[٣٥]، ودخل طغرلبك الى نيسابور فجلس على عرش مسعود[٣٦]، ولقب طغرلبك السلطان المعظم ركن الدنيا والدين (أبو طالب)[٣٧] .

كان دخول طغرلبك مدينة نيسابور واعتلاؤه العرش أول سلطان للسلاجقة سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م وهذا التأريخ هو بدء السلاجقة، بوصفها تحمل الصفات العامة، فقد أصبح للسلاجقة كيان سياسي ورقعة

---

[٣٢] الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٧ .

[٣٣] الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٧ .

[٣٤] الراوندي: راحة الصدور ص١٥٨.

- الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص ٩ .

[٣٥] ابن الأثير : الكامل: جـ ٨ ص ١٥ .

[٣٦] الراوندي: ص ١٥٨ .

- ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٥ .
- البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٧ .

[٣٧] الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٩ .

- عبد النعيم حسنين: سلاجقة ايران ص ٢٨ .

كبيرة من الارض وحاكم له الزعامة التي منحها اياه رعاياه، ومنذ هذا التأريخ تبدأ صفحة جديدة من صفحات النشاط السياسي والعسكري في هذه المنطقة، ومن الطبيعي ان وجود السلاجقة قوة كبيرة متركزة في اقليم خراسان، حالة خطرة بالنسبة للدولة الغزنوية، التي أخذ الضعف يدب في جسمها وصار جيشها يصاب بالنكسات والهزائم، ولكن مسعود الغزنوي، أراد ان يخوض معركة انتحارية مع السلاجقة، فسار في جيش كبير، متجها نحو مرو ولكن جيش الغزنويين واجه أزمة شديدة في المؤن حتى وصف ذلك البيهقي: وركب السلطان وسلك طريق مرو فسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقا يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى، وكان اليوم شديد القيظ، والمؤن قليلة والعلف لا وجود له والدواب هزيلة والناس صيام[٣٨]. وفي الوقت ذاته كانت قوى السلاجقة مستعدة كل الاستعداد، ووقف السلاجقة في الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو في مكان يعرف (دندانقان) وكانت في هذه الصحراء جملة من الآبار فاستنزف السلاجقة ماءها ثم طموها[٣٩] .

تعدّ معركة دندانقان التي وقعت في الثاني من رمضان سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م من المعارك الفاصلة في تاريخ الغزنويين والسلاجقة، وانها انهت الصراع بين هاتين القوتين، في هذه المعركة حمل السلاجقة حملة شعواء على جيش السلطان مسعود، يقول البيهقي: "واختلط الحابل بالنابل واختل النظام من كل جانب وولى رجالنا جميعا الادبار[٤٠]..

---

[٣٨] البيهقي: ص ٦٨٠ وقعت المعركة في الايام الاولى من شهر رمضان .

[٣٩] راحة الصدور: ص ١٦٣ .

[٤٠] البهيقي: ص٦٨٨.

واختل نظام الميمنة والميسرة وكان كل رجل يقول نفسي نفسي[٤١] ويقول البيهقي : وثبت أن موقعة دندانقان انتهت بهزيمة حاسمة، وان السلاجقة قد غنموا ما لا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب[٤٢] .

رجع بعد تلك الهزيمة السلطان مسعود الى غزنة، ثم سار الى الهند ليشتوا بها على عادة والده وأخذ معه أخاه محمدا، واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهنود لمحاربة السلاجقة ثقة بعهودهم[٤٣] ولما عبر سيحون وعبر بعض الخزائن، اجتمع انوشتكين البلخي وجمع بعض الغلمان ونهبوا ما تخلف من الخزائن، ونصبوا أخاه محمدا، وأصبح جيش مسعود قسمين، والقى الطرفان المتنافسان في عراك شديد وقتل السلطان مسعود بعد ان اعتقل في قلعة كيكي[٤٤] .

وأخذ طغرلبك بالتوسع. ففي سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١م ضم طغرلبك الى أقاليمه مدينة جرجان وطبرستان[٤٥]، وتقدم نحو خوارزم وامتلكها، وامتلك ابراهيم ينال مدينة همذان وسيطر على البلاد المجاورة لها[٤٦]. ومن ثم التقى طغرلبك وابراهيم ينال وسارا سوية الى كرمان وحاربا أهلها

---

[٤١] المرجع السابق: ص٦٨٩.

[٤٢] ابن الاثير: جـ ٩ ص ١٦٧ .

[٤٣] المرجع السابق: ص٦٩٥.

[٤٤] اخبار الدولة السلجوقية ص ١٤ ذكر القلعة باسم كيري في الهند .

- ابن العبري: ص ٣١٥ – ٣٢٠ .

- ابن الاثير: جـ ٨ ص ٢٦ ذكرها باسم كيكي.

[٤٥] المرجع السابق: جـ ٨ ص ٣٠ .

[٤٦] المرجع السابق: جـ ٨ ص ٣٤ .

ولكن الملك أبا كاليجار سير الجيوش الكثيفة لصد السلاجقة، وترك طغرلبك كرمان لشدة المقاومة(٤٧). ونحن ندرك منذ هذه اللحظة ان مجال النشاط السلجوقي اتسع حتى غطى كل الاقاليم الايرانية في بحر قزوين الى المحيط الهندي، فان قوة كرمان لم تكن قادرة على طول المدى على أن تقف بين السلاجقة وبين الوصول الى المحيط الهندي. وفي سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم علي بن عبد الله الجويني وهو أول وزير في الدولة السلجوقية(٤٨) . وابتدأ بذلك دور تنظيم الدولة السلجوقية واستقرارها الاداري على يدي أعوان من الفرس ذوي خبرة بالتقاليد الاسلامية .

من المهم ان نلاحظ ان السلاجقة في هذه المرحلة من بدء تكوينهم السياسي، كانوا يتكتلون ويتحدون من أجل توحيد الصف السلجوقي في هذا الظرف الدقيق من حياتهم، فقد اجتمع طغرلبك وأخوه جغري بك مع عمهما موسى بن سلجوق ومع أبناء أعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم(٤٩)، واقتسموا المملكة، فاتخذ جغري بك وكان أكبر اخوته مدينة مرو دارا الملكه واختص بأكثر خراسان، وتنصب موسى على ولاية بست وهرات وسجستان وما يجاور ذلك من

---

(٤٧) المرجع السابق: جـ ٨ ص ٣٥ – ٣٦ .

(٤٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٩ .

– ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٤٠ .

(٤٩) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٥ .

النواحي التي يستطيع فتحها، وتنصب قاورد وهو أكبر أولاد جغري بك على ولاية الطبسين ونواحي كرمان [٥٠] ولابراهيم ينال وهـو أخـو الـسلطان طغرلبك من الام، قهستان وجرجان، ولابي علي الحسن بن موسـى ابـن سلجوق، هراة وبوشنبح وسجستان وبلاد الغور وهي ولاية متداخلـة فـي ولاية أبيه موسى، وكان هذا سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م[٥١] واتخذ طغرلبك مدينة الري دار ملكه[٥٢]، ويبدو ان السلاجقة كـانوا يحترمـون طغرلبـك ويرون فيه المقدرة والكفاية وحسن التدبير، وكانوا يخضعون لرئاسته، وقد نجح طغرلبك في بناء كيان قوي للغز السلاجقة الذين سيصبح لهـم تـأثير عظيم في سياسة المشرق الاسلامي وامتداده الى البحر الابيض المتوسـط في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وهذا التقسيم يحدد علـى وجـه التقريب المجال الذي وصل السلاجقة الى اشغاله، ولم يبق حتى هذا الوقت للدولة التي أنشأها السلاجقة الا أن تستكمل أخر عنصر من مقوماتها وهو الحصول على اعتراف الخليفة العباسي بقيام دولتهم فان مثل هذا الاعتراف وحده بحكم نظم هذا العصر هو الذي يكسب الدولة شرعيتها بحكم المناطق التي يسيطرون عليها .

بدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسي، وكان قصدهم على ما ارجحه تعريف الخليفة بحالهم وكسب عطفه، وليحصلوا على اعترافـه بـشرعية

---

[٥٠] المرجع السابق: ص ١٦٧ .

[٥١] الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ١٧ .

[٥٢] الراوندي: راحة الصدور ص ١٧٧ .

حكمهم، فكتبوا الى الخليفة القائم بأمر الله كتابا هذا نصه:- اننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة واحببناها من صميم قلوبنا ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار واعلان الجهاد وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن سلجوق، قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جناية، وأرسله الى قلعة "كالنجر" ببلاد الهند، فبقى في أسره سبع سنوات حتى مات، واحتجز كذلك في القلاع الاخرى كثيرا من أهلنا وأقاربنا. فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب. فلا جرم اذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ولكن مسعودا وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة وانكسر مسعود واصبح ذليلا، وانكفأ علمه وولى الادبار تاركا لنا الدولة والاقبال .

وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا الامر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولامر أمير المؤمنين(٥٣).

---

(٥٣) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٦ – ١٦٧ .

– البنداري الاصفهاني: زبدة النصرة ص ٧ – ٨ .

– الجوزجاني: طبقات ناصري ص ١٣٢ .

وقد أرسلت هذه الرسالة الى الخليفة القائم بأمر الله على يد المعتمد أبي اسحاق الفقاعى[٥٤]، وكان في ذلك الوقت وزير السلاجقة ومدبر امورهم هو الوزير أبو القاسم الكوباني[٥٥] .

على أننا اذ نلاحظ هذا التقدم والتوسع الكبير والنشاط والحيوية في جانب السلاجقة، نرى الاضطرابات تعم بغداد ولم يكن للخليفة القائم بأمر الله ولا للملك البويهي جلال الدولة أي سلطان، وكان الجنود الترك في ثورات متصلة، وكان البدو والعيارون يهاجمون المدن والاسواق، والفرق المذهبية تضرب بعضها بعضا، وبالطبع فان الخليفة العباسي كان يحس بهذا التفكك والانحلال ويدرك ما للقوة الجديدة إلمنطلقة من الشرق من أثر وخطر في المستقبل، فلما وصلت رسالة السلاجقة الى دار الخلافة، بادر الخليفة بايفاد رسول الى طغرلبك في مدينة الري، وكان مع الرسول هبة الله بن محمد المأمون وزوده بالرسائل الطبية، وكان الخليفة يختص هبة الله بوده واخلاصه، فأمره بأن يتقرب من طغرلبك حتى يحضر الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره[٥٦].

---

[٥٤] راحة الصدور: ص ١٦٧ .
- البنداري الاصبهاني: زيدة النصرة ص ٨ .

[٥٥] عباس اقبال: الوزارة في عهد السلاطين السلاجقة العظام ص ٣٩ .
- راحة الصدور ص ١٦٧ .

[٥٦] راحة الصدور ص ١٦٨ – ١٦٩ .
- حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة ص ٣٥٤ .

ويبدو أن رسول الخليفة عند وصوله الى الري وجد طغرلبك مشغولا في الحروب المستمرة، لذا اضطر الرسول الى الاقامة ثلاث سنوات بسبب ذلك[٥٧]، وفي أثنائها خاض طغرلبك حروبا وسيطر على ايران كلها وعلى اذربيجان سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م وامتد نفوذه الى بعض أجزاء بلاد الروم في آسيا الصغرى، ثم رجع بعد ذلك الى عاصمته الري[٥٨] .

وفي سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وهي السنة الفاصلة في تاريخ الدولة البويهية، أعد طغرلبك العدة من أجل القضاء على تلك الدولة، فأخبر قواده باعداد الجنود والتهيؤ لدخول العراق، وأعلن أنه يريد التوجه الى مكة بقصد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها[٥٩]. وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٤٧ هـ حركة قام بها أحد القواد من الديلم يدعى "فولاذ" حيث استولى هذا على شيراز وقطع خطبة السلطان طغرلبك وخطب فيها للملك الرحيم آخر ملوك البويهين[٦٠]، ولعل هذه الحادثة هي التي حفزت طغرلبك الى قطع دابر البويهين من اقليم فارس وعاصمتهم شيراز ومن العراق فهي حادثة تدل على تمرد من جانب البويهيين قد يكون خطرا على المملكة السلجوقية في ايران فصمم على ازالة ذلك الخطر، مغتنما سوء الاوضاع وتردي الاحوال

---

[٥٧] راحة الصدور: ص ١٦٩ .

[٥٨] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٦٧ .

[٥٩] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٧٠ – ٧١ .

- محمد كامل حسين: سيرة المؤيد في الدين ص ٢٢ ذكر ما يخالف قول ابن الاثير .

[٦٠] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٦٩ .

التي لمسناها خصوصا في أواخر العصر البويهيين، ومن يدري فمن الجائز أن يكون الرسول الذي اوفده الخليفة الى طغرلبك، كان يحمل معه من معاني الترحيب لو دخل طغرلبك بغداد، أو أن الرسول الموفد طلب رسميا نيابة عن الخليفة التوجه نحو بغداد وانقاذ العراق من حالته البائسة(٦١) .

وفي المحرم سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م كانت جيوش السلاجقة على أتم استعداد لدخول العراق، واتجهت تلك الجيوش بقيادة طغرلبك عن طريق حلوان(٦٢) وهو الطريق الذي يطرقه التجار من العراق الى بلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور الى الآن، ويبدو ان هذا الطريق الذي استخدم لغزو ايران أو غزو العراق، هو الطريق السهل الذي يوصل بشكل سريع الى قلب ايران وقلب العراق، وانتشر خبر دخول السلاجقة بين الناس فوقع ذلك وقع الصاعقة على البويهيين، وقد حاول الملك الرحيم آخر حكام بني بويه الهروب مع البساسيري القائد البويهي الذي سيسبب بعض المتاعب للخلافة والسلاجقة في بغداد خاصة والعراق عامة، لكن الخليفة القائم بأمر الله كتب الى الملك الرحيم الذي كان في واسط يعلمه أن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء يعني المصريين وان الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها، فان آثره فقد قطع ما بينهما وأن أبعده واصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره. فقال الملك الرحيم ومن معه: "نحن لاوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون"(٦٣) أي عن البساسيري .

---

(٦١) انظر ص ٥٤ .

(٦٢) ابن الاثير: جـ ٨ ص ٧١ .

- ابن الوردي: تتمة المختصر جـ ١ ص ٣٥٥ .

(٦٣) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٧١ .

والظاهر انه قد جرى اتفاق بين الخليفة القائم بأمر الله والملك الرحيم على وجوب التعاون مع طغرلبك، فأعلن الخليفة ان يذكر اسم طغرلبك في الخطبة وأن يكون لقبه السلطان ركن الدولة (أبو طالب) طغرلبك محمد ابن ميكائيل يمين أمير المؤمنين، على أن يذكر بعد اسمه اسم الملك الرحيم أبو نصر بن ابي كاليجار سلطان الدولة البويهي[٦٤] ومعنى هذا ان الدولة البويهية رضيت أن تكون دولة تابعة للسلاجقة، آملة بذلك ان يتاح لها نوع من البقاء، ووصل طغرلبك وجنوده الى النهروان[٦٥]، وارسل الى الخليفة يستأذنه في دخول بغداد، فأذن له، وخرج الوزير رئيس الرؤساء الى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه اعيان الامراء ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء الى السلطان ابلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد، وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان ونزل بباب الشماسية، ووصل اليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان في طاعته[٦٦]، وتدل هذه التفاصيل على ان دخول السلاجقة الى العراق انما اتخذ شكل حملة حربية من ناحية الشكل، بينما كان في الحقيقة عبارة عن موكب مهيب حضره وجوه الناس من الطرفين .

---

(٦٤) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٩ .

(٦٥) النهروان: بلدة اندرست وكانت على صدر نهر النهروان جنوبي بغداد (مراصد الاطلاع) .

(٦٦) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٧١ .

اما مصير الملك الرحيم فانه بالرغم من العهود التي اعطاها طغرلبك بعدم التعرض له وبالرغم من مساندة الخليفة له، ولكن على مـــا يبـــدو ان طغرلبك أراد أن يستأصل رأس البهويهيين ولا يدع منافسا أو قسيما له في الخطبة والالقاب، فألقى القبض على الملك الرحيم وأرسله مقيدا الى قلعـــة "طبرك" بالري[٦٧]، وظل هناك حتى توفي سنة ٤٥٠ هـــ / ١٠٥٨[٦٨] .

ويبدو ان بعض الحوادث قد وقعت اثر دخـــول الجـــيش الـــسلجوقي بغداد، حيث اصطدم العامة ببعض جيش طغرلبك، فوقع من جراء ذلك قتلى وجرحى، وقد قام بعض الجنود السلجوقية بنهب الاسواق والبيوت وأحدثوا جرائم كثيرة، الامر الذي حمل الخليفة القائم بأمر الله ان يرسل الى السلطان من يبلغه استياءه من هذه الافعال، وصار الخليفة يهدد السلطان بأن هـــذه الأفعال ان استمرت فانه سيغادر بغـــداد، ويقـــول لـــه: - انمـــا اخترتـــك واستدعيتك اعتقادا من ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمـــة الحـــريم تعظم وأرى الامر بالضد[٦٩] .

ووقعت في بغداد حوادث اضطرابات وهي نتيجة طبيعية لمثـــل تلـــك الحالة التي فيها تدخل جيوش أجنبية أي بلد كان، وحصل غلاء كبير، كمـــا حدثت فتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة[٧٠]. وعلى هذا النحو كان موقف

---

[٦٧] الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٩ .

[٦٨] ابن الاثير: جـــ ٨ ص ٧٢ .

[٦٩] المرجع السابق وصفحته .

[٧٠] ابن الاثير: الكامل جـــ ٨ ص ٧٢ .

- ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر جـــ ٢ ص ١٨٢ .

العامة من السيادة السلجوقية في العاصمة يختلف عـن موقـف الخليفـة ورجال الدولة الرسميين. وفي سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م أراد الـسلاجقة توثيق علاقتهم بالخليفة العباسي، وتحقق ذلك بزواج الخليفة القائم بأمر الله من ارسلان خاتون خديجة ابنة داود اخي السلطان طغرلبك[٧١] .

وفي غمرة هذه الانتصارات الرائعة التي حازها طغرلبك ونجاحه في توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسي، أخذت الانباء تتوالى عن حركات حربية واسعة يقوم بها القائد التركي ابو الحارث البساسيري، والبساسيري هذا هو ارسلان بن عبد الله، ابو الحارث البساسيري، قائد تركي الاصـل، كان من مماليك بني بويه، وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الاتـراك في بغداد وقلده الامور بأسرها[٧٢]. فالبساسيري اذن مولى من موالي بنـي بويه. فانه ربي على ما ارجح تربية فيها لقن اصول المذهب الشيعي، وأنه لم يكن اصلا من الشيعة فعلى الاغلب انه تشيع بتأثير الوسط الذي عـاش وتربى فيه، ويبدو انه كان على درجة كبيرة من قوة الشخـصية والكفايـة والمقدرة ما جعله يتقدم في مناصب الدولة حتى أصبح قائدها الاول .

---

[٧١] البنداري: آل سلجوق ص ١٠ – ١١ .
- ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٧٤ .
- ابو الفداء تاريخ ابو الفدا جـ ٢ ص ١٨٣ .
- عبد المنعم حسنين: سلاجقة ايران والعراق .

[٧٢] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢ وص ٦٤ .
- ابن الاثير: اللباب جـ ١ ص ١٢١ .
- ابن خلكان: وفيات الاعيان جـ ١ ص ١٧٢ .

ولكن حصل نوع من المجافاة بين البساسيري والخليفة، قيل ان سببها الوزير ابن المسلمة رئيس الرؤساء، ولكنني اعتقد ان الذي حصل بين الخليفة وبين قائده كان سببه الرئيس على ما أرجح هي السياسة التي اتبعها الخليفة حيال السلاجقة، ومن الجائز ان يكون البساسيري كان لا يوافق على موافقة السلاجقة أو الاستسلام لهم، كما انه وهو صاحب القوة العسكرية في البلاد كان يعتقد على ما أرجح، ان بقدوم السلاجقة معناه زوال نفوذه وذهاب سيطرته، لذا وقف موقفا مناوئا لكل اتصال وقد ظهر ذلك بشكل واضح عندما قدم بغداد سرا صاحبا قريش بن بدران صاحب الموصل والذي هو ممن دخلوا في طاعة طغرلبك فغضب البساسيري ولم يدخل دار الخلافة كعادته، ومما قاله البساسيري في تلك اللحظات: ما اشكو الا من رئيس الرؤساء الذي خرب البلاد واطمع الغز وكاتبهم[٧٣]. يظهر من كلام البساسيري أن رئيس الرؤساء قد اتصل بالسلاجقة لحسابه الخاص ومن وراء ستار، واستمرت العلاقات تسوء بين الوزير والقائد البساسيري وصارت العامة تعتدي على دور البساسيري وانصاره، كما اتهم الوزير، القائد البساسيري بأنه يكاتب المستنصر صاحب مصر، وبذلك نجح الوزير بافساد العلاقة بين الخليفة والقائد[٧٤]. وكان في تقدير هذين الرجلين، ان المخرج من الازمة معلق أما بالسلاجقة وأما بالفاطميين، فتشيع كل واحد

---

[٧٣] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٦٨ .

[٧٤] المرجع السابق جـ ٨ ص ٧٠ .

منهما لجهة من هاتين الجهتين غير ان الوضع الاستراتيجي للعراق يجعله دائما تحت رحمة من يملك الجبال الشمالية .

وعند دخول طغرلبك بغداد كان البساسيري في واسط ومنها سار الى الحلة حيث هناك نور الدولة دبيس بن مزيد، وتظهر في هذا الدور شخصية شيعية كان لها الاثر البعيد في تنظيم وتدبير حركة البساسيري، تلك هي شخصية المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران[٧٥]، الذي ولد بشيراز حوالي سنة ٣٩٠هـ، وانه تدرج في مراتب الدعوة حتى صار حجة بلاد فارس وعرف بنشاطه في الدعوة لمذهبه الى درجة أدت الى نفيه من شيراز سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م وظل هكذا حتى هرب الى مصر سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٤م، وفي مصر تمكن من توطيد علاقة له مع بعض الوزراء ورجال البلاط، كما تمكن من الاتصال بالخليفة الفاطمي الذي أعجب بأدبه وسعة علمه[٧٦] .

ان المؤيد في الدين، تحدث في رسائله كيف تمكن من اقناع المسؤولين المصريين بضرورة تقديم العون الى القائد البساسيري الذي خرج على طاعة الخليفة العباسي، ويبدو ان المؤيد في الدين، عرف بما اوتي من الذكاء والفطنة كيف يستغل الظروف لتحقيق أهداف ما يحمل من

---

[٧٥] الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين ص ١٨ ولكن ايفانوف يرجح أن اسم ابيه الحسين .

راجع: Ivanov: the creed of the Fatimide, P. 5:

[٧٦] الدكتور محمد كامل حسين: سيرة المؤيد في الدين ص ١٤ – ١٦ .

فكرة. وأرسل المؤيد في الدين كتبا الى البساسيري يطلب منه العمل للخليفة الفاطمي[٧٧]، كما أعد الفاطميون الاموال والخلع والسلاح التي وعدوا بهـا البساسيري، وطلبوا من المؤيد في الدين مصاحبة الاموال والخلع، وكاتـب المؤيد، دبيس بن مزيد الاسدي صاحب الحلة على اللحاق به كمـا كاتـب غيره من المؤيدين للبساسيري[٧٨]، وبعد جهد جهيد، تمكن المؤيد في الدين من تنظيم جيش كبير، تحت لواء البساسيري، وسـار هـذا الجـيش الـى الموصل وانتصر في الموقعة التي عرفت بموقعـة سـنجار[٧٩]، وانهـزم السلاجقة وقريش بن بدران الذي كان في طاعة طغرلبك، وأرسل المؤيد في الدين الى مصر باخبار النصر، وجرح في هذه الموقعة قريش ابن بـدران وأتى الى دبيس[٨٠]، وتوسط عند المؤيد في الدين أن يعفو عن قريش بـن بدران وان يخلع عليه[٨١]، ويذكر ابن الاثير: ان دبيسا اعطى قـريش بـن بدران خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار في جملتهم وساروا الى الموصل وخطبوا لخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قـد كـاتبوا الخليفة المصري بطاعتهم فأرسل اليهم الخلع من مصر للبساسيري ولنـور الدولة دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشب ولمقبل بن بدران اخي قريش ولابي

---

[٧٧] الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين ص ٤٠ .

[٧٨] المرجع السابق ص ٤٢ – ٤٤ .

[٧٩] الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين .

– ابن الاثير: جـ ٨ ص ٧٧ .

[٨٠] ابن الاثير: جـ ٨ ص ٧٧ .

[٨١] الدكتور محمد كامل حسين: الديوان ص ٤٥ .

الفتح بن ورام ونصير بن عمرو ابي الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد وانضاف اليهم قريش بن بدران[٨٢] .

ان المتتبع للتشكيلة التي نظمها المؤيد في الدين للجيش الذي دخل الموصل يرى ان هذا الجيش، غير منسجم ولم يحارب من أجل فكرة معينة، ان غرض اكثرية الزعماء المشاركين كانت مادية لا تعدو عن الحصول على الخلع والاموال، وسرعان ما دب الفساد والانقسام[٨٣]، فتفرق رؤساء الجيش مع انصارهم، وجهز طغرلبك جيشا كبيرا اتجه به نحو الموصل، وانتصر السلطان انتصارات كبيرة انهزم على أثرها البساسيري الى الرحبة وطلب دبيس بن مزيد وقريش بن بدران العفو ودخلا في طاعة طغرلبك[٨٤]، وفشلت حركة البساسيري في الموصل، ورجع المؤيد في الدين الى مصر حيث تقلد بعد ذلك منصب داعي الدعاة[٨٥]، وداعي الدعاة هو الذي نظم الدعوة الفاطمية ويوجهها، وهذه الوظيفة كانت من مفردات الدولة الفاطمية، كما ان داعي الدعاة كان يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره[٨٦] .

---

[٨٢] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٧٨ .

[٨٣] الدكتور محمد كامل حسين: الديوان ص ٤٥ .

[٨٤] ابن الاثير: الكامل: جـ ٨ ص ٧٨ .

[٨٥] الدكتور محمد كامل حسين: السيرة ص ١٧ .

[٨٦] المقريزي: الخطط جـ ٢ ص ٢١٧ .

- القلقشندي: جـ ٣ ص ٤٨٧ .

ترك طغرلبك الموصل بعد أن عين ابراهيم ينال حاكما عليها وتوجه نحو بغداد[٨٧]، ولما وصلها خرج لاستقباله الوزير رئيس الرؤساء فلقيه عميد الملك وزير السلطان في جماعة من الامراء، وجاء رئيس الرؤساء الى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستيحاشه فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجيه[٨٨]، وطلب السلطان طغرلبك مقابلة الخليفة ليتخذ من هذه المقابلة، فرصة للانتصار على البساسيري والدعاية الفاطمية، فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ: ١٠٥٩ م جلوسا عاما وبحضور وجوه العسكر واعيان بغداد، ودخل طغرلبك والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي (ص) وبيده القضيب الخيزران، فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة

---

(٨٧) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٧٩ .

ابو الفداء: تاريخ ابو الفداء جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٨٨) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٨٠ / الجام : اناء من فضة .

فرجية: نوع من العباء المسترسل ويصنع اليوم غالبا من الجوخ وله اكمام واسعة طويلة تتعدى

اطراف الاصابع وهي غير مفتوحة او مثقوبة .

ويسميها بعضهم فراجية، انها جبة فضفاضة محلاة بالفراء وهي جبة العظماء وملاءة النساء.

(مولانا نظام قارئ): قاموس الالبسة ص ٢٠٢) .

عباده، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكف الظلم واصلاح الرعية، فقبل الارض، وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه، فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب[٨٩]. يدل هذا اللقب ان الخليفة، اعترف لطغرلبك بما صار تحت يديه من بلاد المشرق وانه أذن له في ان يستخلص المغرب الواقع غربي العراق من يد الفاطميين ويدل هذا التلقيب أيضا على أن الآمال قد اتسعت وان الدولة الجديدة كانت تأمل ان يمتد سلطانها من بلاد ما وراء النهر الى الحدود المصريه الغربية .

في سنة ٤٥٠ هـ حدثت مشكلة جديدة، تلك هي مفارقة ابراهيم ينال لمدينة الموصل نحو بلاد الجبل[٩٠]، واعتقد طغرلبك ان رحيل ابراهيم ينال هو من باب العصيان وكتب اليه السلطان يستدعيه وارسل اليه رسولا أيضا بالمعنى نفسه فرجع ابراهيم ينال الى السلطان وهو ببغداد، أما الموصل فظلت على ما يبدو دون حاكم، ترى ما هي الاسباب التي دفعت ابراهيم ينال الى ذلك العمل الخطير؟ هل ان ابراهيم ينال كان يريد السيطرة على الجبل والاستقلال هناك؟ أم انه كان متواطئاً مع البساسيري أن يقوم بالرحيل فينقض البساسيري بعد ذلك على الموصل ويسيطر عليها ؟

---

[٨٩] الكامل : ج ٨ ص ٨٠ .

- ابو الفداء: تاريخ ابو الفداء جـ ٢ ص ١٨٤ – ١٨٥ .

[٩٠] ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٨٢ .

يبدو لي من سياق الحوادث التاريخية ان ابراهيم ينال كان طموحا وكان يرغب في السيطرة والاستقلال وهذا ما ستثبته الوقائع التاريخية في محاولته الاستقلال في همدان، أما الجواب على السؤال الثاني، بجواز وجود اتفاق سابق بين البساسيري وابراهيم ينال، فان هناك اشارات وردت في السيرة[٩١] التي كتبها المؤيد في الدين كما وردت اشارات عابرة في كتابي المنتظم والكامل[٩٢]، عن وجود مراسلة بين ابراهيم ينال والقائد البساسيري، وخلاصة تلك الاشارات ان البساسيري جاءه رسول من قبل ابراهيم ينال يطلب منه المعونة وانه أي ابراهيم ينال سيملك البلاد باسم الفاطميين[٩٣] .

ولما خلت الموصل من العساكر السلجوقية ولم يبق فيها الا القليل اغتنم البساسيري وقريش بن بدران الفرصة واستوليا على الموصل، ولما علم السلطان طغرلبك بذلك جهز جيشا كبيرا واصطحب معه ابراهيم ينال ولما وصل الموصل كان البساسيري وقريش بن بدران قد فارقاها الى نصيبين، فسار طغرلبك ليتتبع آثارهم، في هذه المرحلة فارقه اخوه ابراهيم ينال فسار نحو همدان، قال ابن الاثير: وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله واطمعه في السلطنة والبلاد[٩٤] .

---

(٩١) سيرة المؤيد في الدين: ص ١٧٤ – ١٨٤ .

(٩٢) ابن الجوزي: المنتظم جـ ٨ ص ١٩٠ .

– ابن الاثير: الكامل ج، ٨ ص ٨٣ .

(٩٣) سيرة المؤيد في الدين: ص ١٧٤ وما بعدها .

(٩٤) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٨٣ .

الآن وقد تغير مجرى الحوادث ويبدو ان السلطان طغرلبك غضب على اخيه ابراهيم ينال، وصمم على ان ينزل به ضربة شديدة قبل ان يستقر في همذان ويزداد خطره، فسار السلطان متجها نحو همذان وتاركا الموصل والعراق بأجمعه، ولم يستقر للسلطان بال حتى بلغ ابراهيم ينال وقتله[٩٥] .

اذن كان ابراهيم ينال كما يبدو شخصا طموحا، طامعا في الاستقلال والسلطنة كما تجدر الاشارة هنا، الى ان ابراهيم فضلاً عن طموحه واطماعه، كان حاقدا على طغرلبك منذ مدة طويلة، فمنذ سنة ٤٤١ هـ بدأت حالة جفوة ونفرة بين السلطان طغرلبك وابراهيم ينال، ذلك ما وجده السلطان من نشاط وتوسع ابراهيم في بلاد الروم، كما كان ابراهيم نفسه يمتلك همذان وبلاد الجبل فسعى السلطان طغرلبك الى تقليص ملكه "فطلب منه تسليم همذان والقلاع التي بيده في بلد الجبل فامتنع ابراهيم، فقامت بينهما الحرب انتهت بانتصار طغرلبك الذي اكرم واحسن الى ابراهيم عندما نزل اليه وخيّره ان يقطعه بلادا يسير اليها وبين ان يقيم معه، فاختار المقام معه"[٩٦] فقيامه بتلك الحركة من المرجح ان تكون نتيجة للحقد الكامن في نفس ابراهيم ينال، أو انها صورة للتشفي واخذ الثأر. والسلطان طغرلبك وان استأصل هذا الخطر الذي ظهر في سلطنته، الا انني ارى ان السلطان

---

[٩٥] راحة الصدور ص ١٧١ .

- زبدة النصرة ص ١٥ – ١٦ .

[٩٦] ابن الاثير: جـ ٨ ص ٥١ – ٥٢ .

لم ينظم الامور بشكل يوفر للعراق الامن والاستقرار، فكان على السلطان قبل ان يفارق الموصل لمحاربة ابراهيم ينال، أن يفكر في خطر البساسيري واطماعه، وكان من الواجب ترك قوة عسكرية كافية في الموصل وبغداد لصد أي اعتداء أو غزو، ذلك لان البساسيري انتهز مسير السلطان الى همدان فهاجم بغداد ومعه دبيس بن علي بن مزيد الاسدي[٩٧] وقريش بن بدران وحاصروا الخليفة في حرمه وأسروه، وقتلوا الوزير رئيس الرؤساء، ثم ارسلوا الخليفة الى مدينة "عانة" واودعوه لدى شخص عربي اسمه "مهارش بن المجلي" وهو ابن عم قريش بن بدران[٩٨]، وأصبحت بغداد من جديد بقبضة البساسيري، فخطب للخليفة المستنصر الفاطمي[٩٩]، وضرب الدنانير وسماها "المستنصرية"، وكان عليها من فرد جانب "لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله" ومن الجانب الآخر "عبد الله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين"[١٠٠] واستولى البساسيري في هذه المرحلة ايضا على واسط والبصرة وحاول السيطرة

---

[٩٧] البنداري: زبدة النصرة ص ١٢ .

[٩٨] الراوندي: راحة الصدور ص ١٧٢ .

- ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٨٣ – ٨٤ .

- المنتظم جـ ٨ ص ١٩١ – ١٩٧ .

[٩٩] ابن الجوزي: جـ ٨ ص ١٩٦ .

-ابن الاثير: جـ ٨ ص ٨٣ .

[١٠٠] المنتظم: جـ ٨ ص ١٩٦ .

على الاهواز، لكنه وجد ان طغرلبك يمد صاحب الاهواز بالعساكر فصالحه[١٠١] .

وصلت الى يد السلطان طغرلبك، رسالة من الخليفة الذي كان اسيرا في "عانة" جاء فيها: "بحق الله ادرك الاسلام فقد ساد العدو اللعين واخذ ينشر مذهب القرامطة[١٠٢]، ولما فرغ السلطان من القضاء على حركة ابراهيم ينال، استعد لمواجهة البساسيري، فسار بجيش كبير نحو العراق، ودخل الاراضي العراقية عن طريق حلوان، فانتشر الخبر في بغداد، فساد المدينة الاضطراب، وحاول البساسيري الهروب ولكنه اضطر الى مقابلة جيش السلاجقة في طريق الكوفة، وكان بنيته الهروب الى الشام، وكان يقود السلاجقة "خمارتكين الطغرائي"[١٠٣] فانتصر السلاجقة وقتل البساسيري وحمل رأسه الى دار الخلافة. وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبي[١٠٤]، وأعيد الخليفة القائم بأمر الله من بلدة عانة الى بغداد، وعظم نفوذ طغرلبك ولقبه الخليفة بلقب جديد هو "ركن الدين"[١٠٥]

---

[١٠١] الكامل: جـ ٨ ص ٨٤ – ٨٥ .

[١٠٢] راحة الصدور: ص ١٧٢ .

[١٠٣] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٨٦ .

[١٠٤] ابن الجوزي: المنتظم جـ ٨ ص ٢١٢ .

– الراوندي: راحة الصدور ص ١٧٥ .

– ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٨٦ .

[١٠٥] راحة الصدور: ص ١٧٥ .

وتخلصت الخلافة العباسية من عنصر كبير للفتنة وعادت الخطبة خالصة للخليفة القائم بأمر الله العباسي .

وفي سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م انحدر السلطان طغرلبك الى واسط وكانت قد نهبت، فأمر بضمانها الى ابي علي بن فضلان بمئتي ألف دينار، وضمن البصرة أبو سعد سابور بن المظفر، وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة، وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين واربع مئة... واجتمع بالخليفة وتناول معه الطعام[١٠٦] .

وبعد أن استتب الامر في العراق غادر السلطان طغرلبك متجها الى اذربيجان ونزل بمدينة تبريز، وترك في بغداد وزيره عميد الملك الكندري، وجعل لبغداد شحنة[١٠٧]، الامير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر ابن الحسين ثلاث سنوات بأربع مئة ألف دينار[١٠٨]. وكان السلطان قد رغب في الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله[١٠٩]. والارجح ان السلطان كان يطمع أن يرزق بولد من سيدة عباسية، وان يربط الاسرة السلجوقية بالنسب العباسي، وكلف وزيره بمفاتحة الخليفة بذلك ولكن الخليفة أبدى

---

[١٠٦] ابن الاثير: جـ ٨ ص ٨٩ .

[١٠٧] الشحنة: وظيفة جديدة في العهد السلجوقي، ويشرف صاحبها على ولاية بغداد وله سلطات ادارية وبوليسية واشبه ما يكون بالمتصرف .

[١٠٨] ابن الاثير: جـ ٨ ص ٨٩ .

[١٠٩] اخبار الدولة السلجوقية ص ٢١ .

ابن الاثير: جـ ٨ ص ٩٢ .

ممانعة في بداية الامر ولكنه اضطر اخيرا الى الموافقة، واتفق أن يكون مهرها اربع مئة درهم من الفضة ودينارا واحدا من الذهب، وهو مهر السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام"[110] وأجريت مراسيم العقد في تبريز وعقد قاضي بغداد خطبة النكاح، وبعدها خرج السلطان قاصدا الري ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه، ولكن السلطان وقع مريضا وزاد عليه المرض ومات في رمضان سنة خمس وخمسين واربع مئة، وعادت السيدة ومعها مهرها الى بغداد[111]، وهناك رواية اخرى تشير الى انه عاش بعد زفافه سبعة شهور ثم مات في رمضان سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م[112].

ألب أرسلان

لم يترك طغرلبك وريثا له وكان هذا من العوامل التي أدت الى وقوع بعض الحوادث للتشبث بالاستيلاء على عرش السلاجقة، فالوزير عميد الملك الكندري أجلس على عرش السلطنة سليمان بن داود جغري بك أخي السلطان طغرلبك، وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك، وكان الب أرسلان محمد بن داود جغري بك حاكما على خراسان ومعه وزيره المشهور نظام

---

(١١٠) راحة الصدور: ص ١٧٧ .

(١١١) راحة الصدور: ص ١٧٨ .

- البنداري: زبدة النصر ص ٢٦ .

(١١٢) صدر الدين: زبدة التواريخ/ ورقة ١٤ .

الاصفهاني: زبدة النصرة ص ٢٥ .

الكامل: جـ ١٠ ص ٩ .

الملك، أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي، وكان الـــب أرســـلان طامعا في العرش السلجوقي ويلقى تأييدا من أمراء كثيرين، وكان ســـليمان طفلا صغيرا، ولما وجد الوزير الكندري خطورة الوضع أمر بقراءة الخطبة بالري باسم الب ارسلان[١١٣]، وأن يكون سليمان وليا لعهده[١١٤]، وبعد ذلك تمكن نظام الملك بما اوتي من الحيلة وكبير الدهاء من أن يوقـــع بـــالوزير الكندري ويحمل السلطان على سجنه ومن ثم الى قتله[١١٥]، وبـــذلك صـــفا الجو لنظام الملك، وبدت في الجو حركة جديدة، قام بهـــا شـــهاب الدولـــة قتلمش بن اسرائيل، واعلن في حركته انه أحق من ألب ارسلان في سلطنة السلاجقة، ولكن الب ارسلان جهز له جيشا كبيرا توجه به الى الري ومعه وزيره نظام الملك، وخرج اليه قتلمش بجيش كبير أيضا، وقد لعب الـــوزير نظام الملك في تلك المعركة دورا كبيرا وظهرت فيها حنكتـــه العـــسكرية، وانتصر السلطان الب ارسلان على قتلمش، وانكسر جيشه ووجد قـــتلمش ميتا في ميدان المعركة[١١٦]، وأصبح الب أرسلان بعد هذه المعركـــة ســـيد الموقف لا ينازعه من احد في السلطنة .

---

[١١٣] الراوندي: راحة الصدور ص ١٨٥ .

[١١٤] ابن الاثير: جـ ٨ ص ٩٥ .

[١١٥] راحة الصدور: ص ١٨٧ .

- ابن الاثير جـ ٨ ص ٩٦ – ٩٧ .
- اخبار الدولة السلجوقية ص ٢٥ .

[١١٦] ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٨ .

والظاهر من تاريخ حكم السلطان الب أرسلان انه انشغل في مشاكل وأحوال الدولة كثيرا ولم تتح له الفرصة لزيارة العراق ولم يدخل بغداد طيلة حكمه ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م، والخليفة العباسي لايزال هو القائم بأمر الله، ونلاحظ في هذه المرحلة قيام التعاون والاحترام بين الخلافة والسلطنة السلجوقية، فالسلاجقة كانوا بشكل عام يكنون التقدير والتبجيل لمقام الخلافة، وكانت مقترحات وأوامر الخليفة لها موضع العناية والتنفيذ، ففي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م ورد ابتكين السلبماني شحنه بغداد [١١٧] من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام اياما فلم يجب الى ذلك، وكان سبب غضب الخليفة عليه، انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فأنفذ قميصه في الديوان الى السلطان ووقع الخطاب في عزله، وكان نظام الملك يعني بالسليماني، فأضاف الى اقطاعه تكريت، فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها، فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد، سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليماني عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بأمر الله، ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس الخليفة [١١٨] .

---

[١١٧] ابن الاثير: جـ ٨ ص ١١١ .

[١١٨] الاصفهاني: آل سلجوق ص ٤٢ .

ابن الاثير: جـ ٨ ص ١١١ .

يوجد فارق بين السيادة السلجوقية والسيادة البويهية هو ان الدولة السلجوقية كانت دولة العراق العجمي الواقع في صرة المشرق وكان العراق طرفا من اطراف الدولة السلجوقية على حين كان العراق مركزا أساسيا من مراكز الدولة البويهية .

وفي هذا العهد تبودلت الهدايا بين الخلافة والسلطنة، ففي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م أرسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله، عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه، وكان السلطان قد أرسل بطلب من الخليفة ان يأذن في أن يجعل ولده ملكشاه ولي عهده، فأذن الخليفة بذلك، وسيرت له الخلع مع عميد الدولة(١١٩)

وفي هذه السنة أيضا طلب الخليفة من عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الى رسلان من زوجته سفرى خاتون لولي العهد المقتدى بأمر الله، فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد(١٢٠) .

وتوسعت الدولة السلجوقية في عهد ألب أرسلان توسعا كبيرا وكانت له مع الروم وقائع وحروب، ولعل من اشهرها واهمها موقعة "ملاذ كرد" في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ففي هذه السنة خرج الامبراطور رومانوس

---

(١١٩) ابن الاثير: جـ ٨ ص ١١١ .

(١٢٠) آل سلجوق: ص ٤٣ .

- ابن الاثير: جـ ٨ ص ١١١ .

في جيش عظيم بلغ عدده ٢٠٠ ألف مقاتل، وكان السلاجقة يعدون ١٥ ألف مقاتل وكان الامبراطور البيزنطي يقصد مهاجمة الدولة الاسلامية والاحتفاظ بسيادته على أرمينية بعد ان زعزع السلاجقة هذه السيادة وهددوها تهديدا خطيرا، ولارمينية اهمية خاصة في تاريخ الثغور فان امتلاك الروم اياها يكسبهم استراتيجية خاصة ضد الجبهة الاسلامية وكان استيلاء السلاجقة على ارمينيا من شأنه تحقيق الأمن في الحدود الاسلامية. واصطدمت الجيوش البيزنطية مع جيش السلاجقة في "ملاذ كرد" من اعمال "الخلاط" في مدخل آسيا الصغرى، وانتصر الب أرسلان في تلك الوقعة انتصارا ساحقا واسر في تلك الوقعة امبراطور الروم رومانوس ديوجين[١٢١]، وكان لهذا الانتصار صداه الكبير في العالم الاسلامي، وبعث الخليفة العباسي القائم بأمر الله، كتاب تهنئة الى السلطان الب ارسلان بمناسبة نجاحه وفوزه في تلك الوقعة، ومما جاء في الكتاب "الولد السيد الاجل، المؤيد المنصور المظفر، السلطان الاعظم مالك العرب والعجم، سيد ملوك الامم، ضياء الدين، غياث المسلمين، ظهير الايمان، كهف الانام، عضد الدولة

---

[١٢١] الراوندي: راحة الصدور ص ١٨٩ وذكر ان عدة الروم ستماية ألف مقاتل .

- ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٠٩ – ١١٠ .
- ابن القلانس: ذيل تاريخ دمشق ص ٩٩ – ١٠٥ .
- البنداري: زيدة النصرة ص ٣٨ – ٤٤ .
- الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٤٦ .

القاهرة، تاج الملة الباهرة، سلطان ديار المسلمين، برهان امير المـؤمنين، حرس الله تمهيده وجعل من الخيرات مزيده"[١٢٢] .

ولا شك في أن انتصار السلاجقة في ملاذ كـرد يعدّ رمـزا لعـزم السلاجقة على الجهاد والمشاركة في حماية الحدود الاسلامية مشاركة فعالة مجيدة ذات اثر عميق في التاريخ الحربي للثغور الاسلامية .

وفي سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م توجه الب ارسلان الى بلاد ما وراء النهر بجيش كبير يزيد على مئتي ألف جندي للقضاء على الفتن المستعرة هناك وقد جئ للسلطان الب أرسـلان بأحـد الثـائرين ويـدعى يوسـف الخوارزمي وكان شخصا عنيدا فرغب السلطان بقتله بنفسه، فرماه بـسهم فأخطأ الاصابة، واغتنم يوسف الفرصة فهجم على السلطان وطعنه بـسكين كان يخفيها، وكان سعد الدولة كوهرائين واقفا فأصيب هو الآخـر بجـرح ولكنه لم يكن مميتا[١٢٣].

وفي عصر الب ارسلان شيدت المدارس النظامية ومن اهمها نظامية بغداد، شيد تلك المدارس الوزيرالسلجوقي نظام الملك، فقـد بـدأ ببنائهـا

---

[١٢٢] اخبار الدولة السلجوقية ص ٥٣ .

[١٢٣] راحة الصدور : ص ١٩١ .

- اخبار الدولة السلجوقية ص ٥٤ .
- آل سلجوق: ص ٤٤.
- حمد الله المستوفي: كزيدة ص ٤٤٢ .
- ابن الاثير: جـ ٨ ص ١١٢ .

سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م كما أنشأ شرف الملك أبو سعد المتوفى مدرسة للحنفية في مشهد ابي حنيفة في السنة نفسها[١٢٤] . انظر شكل : (٢)

ملكشاه

تولى سلطنة السلاجقة ملكشاه، وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة فخطب له على منابرها[١٢٥]. وقد واجهت ملكشاه في أول حكمه ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م مشكلة الا انه تمكن من تذليلها بسرعة، اذ طمع عمه "قارود" في الملك فتحرك ملكشاه بسرعة على رأس جيش جرار من خراسان والتقى بجيش عمه عند باب الكرج فدامت المعركة بينهما ثلاثة أيام بلياليها، وانتهى بهزيمة "قاورد"[١٢٦] .

وفي سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ورد سعد الدولة كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدى بأمر الله، وسلم الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه

---

(١٢٤) ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٠٥ .
- آل سلجوق: ص ٣١ .
- اخبار الدولة السلجوقية: ص ٦٨ - ٦٩ .

(١٢٥) ابن الاثير: جـ ٨ ص ١١٣ .

(١٢٦) البنداري: زبدة النصرة ص ٤٨ .
- حمد الله المتوفى: كزيدة ص ٤٤٣ .
- محمد ابراهيم: تاريخ سلاجقة كرمان ص ١٣ .
- ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ١١٤ .

ولي العهد المقتدى بأمر الله، وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده[١٢٧] .

واستمرت علاقة السلاجقة مع الخلافة العباسية حسنة طيبة، وفي سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ارسل الخليفة وزيره فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان لمواجهة السلطان يخطب ابنته، فأمر نظام الملك ان يمضي معه الى خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت: ان ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا اربع مئة ألف دينار، فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم، فعرفتها ارسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف بالاتصال بالخليفة، وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فأجابت الى ذلك واشترطت ان يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فأجيبت الى ذلك، فأعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد[١٢٨].

وفي سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م دخل السلطان ملكشاه بغداد بعد فتح حلب والجزيرة ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان

---

[١٢٧] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ١١٩ .
- آل سلجوق: ص ٤٧ .

[١٢٨] ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل ومشهد أبي حنيفة[١٢٩].

وفي سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م اتجه سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهتدي الدولة بن أبي الجبر صاحب البطايح، وما ان ابتعد عن بغداد الا وظهرت فيها الفتن والاضطرابات[١٣٠]. ووقعت فتنة في بغداد بين أهل الكرخ وباب البصرة ولكن شحنة بغداد سعد الدولة تمكن من اخماد الفتنة[١٣١].

واستمرت الفتن في بغداد وتعددت ويبدو ان السلاجقة كانوا يخمدونها بالقوة والبطش، وقد أدت تلك الفتن بالطبع الى اقلاق الامن والنظام وضعف مركز الدولة كما سيؤدي حتما الى احداث نفرة وعدم انسجام بين العامة من الشيعة والمسؤولين .

وفي سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م زار السلطان ملكشاه بغداد للمرة الثانية ومعه نظام الملك ونزل بدار المملكة وامر ببناء جامع السلطان[١٣٢] وفي

---

[١٢٩] المرجع السابق جـ ٨ ص ١٤٣ .

[١٣٠] المرجع السابق: جـ ٨ ص ١٤٦ .

[١٣١] ابن الجوزي: المنتظم حوادث سنة ٤٨٠ جـ ٩ ص ٣٨ .
- ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٧ .

[١٣٢] ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ١٥٩ .
- ابن الجوزي: المنتظم جـ ٩ ص ٥٧ الا انه ذكر بناء جامع السلطان في سنة ٤٨٥ جـ ٩ ص ٦٠ .

أواخر ايام الخليفة المقتدى بأمر الله بن القائم بأمر الله كانت العلاقة بين السلطان ملكشاه السلجوقي والخليفة على غير ما يرام وسبب ذلك، ان الخليفة المقتدى كان قد تزوج من ابنة ملكشاه ورزق منها ولدا اسماه أبا الفضل جعفر، وكان ملكشاه يريد ان يكون جعفر هو الولي للعهد بينما كان للخليفة ولد اكبرمن جعفر هو المستظر وكان يريد ولاية العهد له، وساءت العلاقة بين الخليفة والسلطان، وفي سنة ٨٥ هـ / ١٠٩٢ م قصد السلطان ملكشاه بغداد فوصلها وكان على ما يبدو يريد بالخليفة شرا، فأرسل ملكشاه الى الخليفة يقول له، تخرج من بغداد وتسكن أي بلد شئت، فانزعج الخليفة من ذلك وطلب منه ان يمهله شهرا، فقال ملكشاه: ولا ساعة واحدة. وترددت الرسل بينهما ثم استقر الحال بواسطة تاج الملك أبي الغنائم، وزير ملكشاه ان يؤخره عشرة أيام، فوافق السلطان على ذلك، وأصيب السلطان بمرض مفاجئ فتوفي في نصف شوال سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م وتخلص الخليفة المقتدى من تلك المحنة[١٣٣]. وقد اهتم ملكشاه بحفر القنوات واقامة الاسوار والقلاع، كما كان كثير التشجيع للعلماء والادباء[١٣٤] .

افول نجم السلاجقة العظام من عهد بركيارق الى وفاة سنجر واختار السلاجقة بركيارق سلطانا عليهم وقدم الى بغداد وأرسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة، فأجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن

---

(١٣٣) ابن الطقطقي: الفخري ص ٢١٧ .

- ابن الجوزي: المنتظم جـ ٩ ص ٦٢ و ٦٩ .

(١٣٤) -Nichelson: Aliterary History of the Arabs, P. 276 .

الدين[١٣٥]. وفي الخامس عشر من محرم سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م توفي الخليفة المقتدى بأمر الله فجأة وبويع لولده المستظهر بالله وله من العمر ست عشرة سنة وبايعه السلطان بركيارق والامراء والقواد[١٣٦].

في الحقيقة ان السلاجقة فقدوا بوفاة ملكشاه ومقتل نظام الملك شخصيتين قويتين لهما من الحنكة السياسية والخبرة الادارية والعسكرية ما ساعد على قوة الدولة السلجوقية وتنظيمها وتذليل الصعوبات التي وقفت أمام عجلة الدولة، ولكننا نلاحظ ان الدولة السلجوقية بعد عصر ملكشاه أخذ الضعف ينخر في كيانها ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطنة، فالمشاكل التي واجهت بركيارق في أول حكمه كانت عوامل ضعف للدولة السلجوقية، فبدلا من التوسع والسيطرة على أراضي جديدة كما فعل طغرلبك والب أرسلان وملكشاه نجد بركيارق ينشغل في اخماد الفتن والحركات التي قامت ضده، من قبل أم محمود "تركان خاتون" زوجة ملكشاه المحبوبة، التي تمكنت من الحصول على اعتراف الخليفة بسلطنة ولدها، ونجحت في سجن بركيارق ولكن أنصار نظام الملك تمكنوا من انقاذ بركيارق ونصبه سلطانا، فأصبح في العالم السلجوقي سلطانان وبدأت الحرب بين تركان خاتون وبركيارق، وقد انتهت تلك الحرب بانتصار بركيارق. ثم نشب نزاع جديد حول العرش وأعلن تاج الدولة "تتش" الذي كان واليا على دمشق، انه أحق بالسلطنة، واحتل مناطق عديدة وهدد بركيارق، واصطدم بركيارق مع عمه تتش فانتصر بركيارق وانهزم تتش الى الشام، ثم قامت مشكلة اخرى قام بها خال بركيارق، اسماعيل ابن ياقوتي وكان اميرا على أذربيجان ولكن هذا خسر المعركة في النهاية، وأخيرا ظهر في ميدان التنازع عمه تتش من جديد وفي هذه المرة كان تتش قويا ومستعدا ولكنه خسر المعركة مع

---

(١٣٥) ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٧٠ .

(١٣٦) المرجع السابق .

بركيارق قرب الري سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م كما انه قتل في المعركة[١٣٧]، هذه الحركات والفتن كما نرى سببت تصدعا في وحدة الصفوف وأدت الى تفرقة السلاجقة وأخذت دولتهم تسير نحو الانحلال والتفكك .

وأهم ما برز من مشاكل في عهد السلطان بركيارق وهدد دولة السلاجقة هو الصراع الذي نشأ بين الوزراء، كل وزير يريد ان تكون له الاهمية وان يكون له النفوذ، فقد تمكن فخر الملك بن نظام الملك من التوصل الى منصب الوزارة على حساب أخيه مؤيد الملك[١٣٨]، وكان فخر الملك هو الابن الاكبر لنظام الملك ولكن كانت وزارته في الحقيقة اسمية ولم تكن له سلطات مهمة اذ كان زميله مجد الملك الوزير السلجوقي لديوان الاستيفاء قد استحوذ على معظم السلطات وبسط نفوذه على جميع مرافق الدولة، وبدأ التنافس بين مجد الملك وفخر الملك، وكان مؤيد الملك وأخوه عماد الملك قد اتصلا بأعداء بركيارق وصارا من المساعدين لمحمد بن ملكشاه أخي بركيارق، الذي كان واليا على اقليم اذربيجان من قبل السلطان بركيارق، وفي سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م، اصدر السلطان بركيارق أمرا بخلع فخر الملك من الوزارة[١٣٩] وظل هذا منزويا في مدينة نيسابور ولكنه بعد مدة قصيرة عينه سنجر حاكم خراسان وزيرا له وبقي في هذا

---

(١٣٧) ابن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ١٧٥ .

- البنداري: زيدة النصرة ص ٨٥ والمعركة وقعت عند قرية تعرف (داشيلو) على بعد ١٢ فرسخا من الري .

(١٣٨) الراوندي: راحة الصدور ص ٢٢٠ .

- ابن الاثير: الكامل جـ ٢ ص ١٧٨ .

- البنداري: مختصر تاريخ آل سلجوق ص ٧٩ .

(١٣٩) ابن الاثير: جـ ٨ ص ٢٣٧ .

المنصب حتى اغتاله أحد الباطنية في العاشر من محرم سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م. أن تخلى السلطان لفخر الملك بن نظام الدولة معناه انه تخلى عن أسرة نظام الملك التي كانت تحظى بتأييد كبير من رجالات الجيش والادارة، وظهرت في الافق السياسي حركات وفتن جديدة اضافت عوامل ضعف وانهيار لتلك العوامل التي أدت الى انحلال السلطنة السلجوقية، فقد ثار في اصفهان الامير "أنر" الذي كان قد اتصل بمؤيد الملك بن نظام الملك وكان الاخير هذا قد رغب اليه الابتعاد عن السلطان بركيارق وخوفه منه[١٤٠]. وأشاروا اليه بمكاتبته غياث الدين محمد بن ملكشاه وأعلن "أنر" العصيان ولكن أحد رجال الاسماعيلية اغتال الامير "أنر" وبهذا تخلص السلطان بركيارق كما بينا سابقا وصار يشجعه على خلع أخيه بركيارق وتمكن أخيرا من اقناعه وقبول فكرته ومن ثم عينه محمد وزيرا له وأخذ نفوذ محمد بن ملكشاه ينتشر ويقوى حتى ان سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد سابقا سار من بغداد واتصل "بكربوقا" صاحب الموصل و "جكرمش" "صاحب الجزيرة" و "سرخاب بن بدر" "صاحب كنكور"[١٤١] وغيرها فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى اصفهان، ولما وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فأجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب "غياث الدنيا والدين"[١٤٢]، وبدأ الصراع بين بركيارق وأخيه محمد وصارا قطبين متنافسين في العالم

---

[١٤٠] الراوندي ص ٢٢٧

- ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٨٨ .

[١٤١] كنكور: قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر (مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١١٨٢) .

[١٤٢] ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٩١ .

- ابن الجوزي: جـ ٩ ص ١٠٩ .

السلجوقي، وفي خلال عام تقريبا اعيدت الخطبة لبركيارق في بغـداد فقـد عاد سعد الدولة كوهرائين وكربوقا وغيرهما من السلاجقة الى التخلي عن محمد ووزيره مؤيد الملك وكاتبوا بركيارق وطلبوا مساعدته كما انهم ابدوا استعدادتهم لخدمته، فقابلهم واعاد لهم امتيازاتهم واستوزر بركيارق ببغداد أبا المحاسن عبد الجليل بن علي محمد الداهستاني، وخلع الخليفـة علـي بركيارق وعادت الخطبة له ببغداد مجددا[١٤٣]

جهز بركيارق جيشا كبيرا اتجه به نحو شهرزور بينما اتجه محمـد ابن ملكشاه بجيش معه مؤيد الملك نحو همدان وقامت الحرب بين الطرفين وجرت بينهما خمس معارك كانت الغلبة في اربع منها لبركيـارق وانتهـى الامر بفوز محمد وهزيمة بركيارق في المعركـة الخامـسة[١٤٤]، أن هـذه الحروب أنهكت الجانبين كما وجد بركيارق ضعف السلاجقة وعدم قـدرتهم على احراز نجاح كبير، فخاطب أخاه في الصلح واتفق على ان تكون لمحمد البلاد من النهر المعروف "أسبيذروذ" الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة[١٤٥]، وأصبحت لبركيارق الاقاليم الجنوبية وحمل كل منهما لقب الـسلطنة وظـل سنجر حاكما على خراسان .

وتوفي بركيارق سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م وكان قد عين قبيل وفاته ولده ملكشاه وليا لعهده، كما عين الامير اياز اتابكا عليه، وخطب لملكـشاه

---

[١٤٣] راحة الصدور : ص ٢٢٨ .

[١٤٤] ابن الاثير: جـ ٨ ص ١٩٦ .

[١٤٥] المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٢٠ .

في هذه السنة وذلك بتأثير شحنة بغداد "أيلغازي" الذي كان في مقابلة مع بركيارق والامير أياز ونجح في أن يخطب للملك الجديد في مساجد بغداد وأن يلقب بجلال الدولة، ولكن بعد مدة قصيرة قدم محمد ابن ملكشاه متوجها نحو بغداد، واستعد الامير اياز ومن يؤيده الى اعداد عدة الحرب ومواجهة السلطان محمد بالقوة ولما وصل بأعلى بغداد من الجانب الغربي أخذت مساجد الجانب الغربي تدعو للسلطان محمد بن ملكشاه بينما أخذت مساجد الجانب الشرقي تدعو لملكشاه بن بركيارق[١٤٦]. وهذا يمثل بأصدق تعبير ما كانت تعانيه بغداد نتيجة الحوادث واختلاف السياسة والانقسامات التي حدثت بين الحكام السلاجقة، ولما وجد الامير أياز انقسام وفرقة السلاجقة، وكان من المؤيدين الى المصالحة بين الطرفين المتنازعين، أرسل رسلا من أجل ذلك، فتم الصلح[١٤٧]، ونجت بغداد من فتنة كبيرة كادت تودي بكثير من أرواح أهلها وممتلكاتها .

من الملاحظ ان حالة السلاجقة أخذت في الضعف والانهيار خلال سلطنة بركيارق، بسبب النزاع الذي قام حول العرش، والخصومات التي وقعت بين الوزراء والامراء، كلها عوامل فتكت بالوحدة السلجوقية وافقدتها حيويتها وقوتها، اضف الى ذلك ان هناك عوامل هدم خطيرة كانت تعمل على تقويض ذلك الكيان بشكله العلني والخفي، فالحروب الصليبية كانت قد اتسعت والصليبيون سيطروا على أراض جديدة،

---

(١٤٦) ابن الاثير: جـ ٨ ص ٢٢٥ .

(١٤٧) المرجع السابق: جـ ٨ ص ٢٢٦ .

فسيطروا على انطاكية سنـــة ٤٩١هــ / ١٠٩٧ م وعلى بيت المقدس سنة ٤٩٣ هــ / ١٠٩٨ م[١٤٨]، وقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين، والسلاجقة في عهد بركيارق كانوا منشغلين في منازعاتهم وخصوماتهم، وهناك عامل آخر من العوامل التي كان لها الاثر الكبير في اضعاف السلاجقة في هذا الدور، ذلك هو حركات الباطنية، وقد استغل الباطنية انقسام وتنازع السلاجقة الى اظهار نشاطهم وتوطيد نفوذهم ونشر دعوتهم، كما استطاعوا السيطرة على قلعة "شاهدز" التي تقع بالقرب من اصفهان سنة ٤٨٨ هــ / ١٠٩٤م[١٤٩]، وهي من القلاع المهمة القوية والتي أنشأها السلطان ملكـــشاه بـــن الـــب ارسلان، وكان لسيطرة الباطنية على هذه القلعة الحصينة أثره الكبير فـــي قوة الاسماعيلية، التي صارت تقضي على من يناوئ دعوتها أو يقف فـــي طريق نشرها، فذهب الكثير من الشخصيات السلجوقية كنظام الملك الوزير السلجوقي الكبير ضحية مؤامرتهم كما افتكوا بولده فخر الملك الذي كـــان وزيرا لبركيارق ثم لسنجر من بعده وغيرهما من الشخصيات الكبيرة، وقد حاول السلطان محمد بن ملكشاه أن يقضي عليهم وهداه تفكيره بـــضرورة السيطرة على حصن الاسماعيلية في "ألموت" والقضاء على رئيسهم الكبير الحسن الصباح، ولكن الجيش السلجوقي الذي كان بقيادة نظام الملك احمـــد بن نظام الملك لم يتمكن من تحقيق رغبة السلطان وعجز عـــن الاســـتيلاء على حصن الباطنية الحصين، بل ان الباطنية تصدوا للوزير القائد وحاولوا

---

(١٤٨) ابن الجوزي: جـــ ٩ ص ١٠٨ .

(١٤٩) الراوندي: راحة الصدور ص ٢٣٩ .

قتله ولكنه نجا من محاولتهم بأعجوبة وأصيب بجروح بليغة في رقبته[١٥٠]، شفي منها بعد مدة، وظل السلطان محمد يتعقبهم وينازلهم، بل يبدو انه وضع معظم امكانيات الدولة من أجل استئصال شأفتهم ولكن الموت ادركه[١٥١]. ان عمل السلطان محمد ذلك وان أضعف الباطنية وقلل من خطرهم ولكن الدولة السلجوقية تكبدت خسائر فادحة كانت عاملا مهما في انهاك قواها المادية والمعنوية. كما أن الباطنية ظلت مستمرة في عدائها للسلاجقة تثير الفتن والاضطرابات ضد تلك الدولة . ..

كانت الخلافة العباسية في بغداد تجاه تلك الحوادث والفتن تتأثر بميزان القوى، فنرى الخليفة العباسي يوافق على ذكر اسم احد السلاجقة في الخطبة بعد ان يظهر قوته في الميدان السياسي او الحربي ولكنه أي الخليفة كان على العموم ضعيفا غير قادر على السيطرة، ولكننا نلمس بعد وفاة محمد بن ملكشاه السلجوقي انقساما واضحا في جسم الدولة السلجوقية فالسلطان محمد اوصى من بعده بالعهد لولده محمود وكان في الرابعة عشرة من عمره ووافق الخليفة المستظهر بالله العباسي على ذلك[١٥٢]، ولكن عمه سنجر والي خراسان وجد نفسه أفضل من ابن اخيه في سلطنة السلاجقة فأعلن نفسه سلطانا عليهم[١٥٣]، وأصبح في العالم

---

(١٥٠) ابن الاثير: جـ ٨ ص ٢٥٩ .

(١٥١) ابن الجوزي: المنتظم جـ ٩ ص ١٩٦ .

- ابن الأثير: الكامل جـ ٨ ص ٢٧٧ .

(١٥٢) ابن الاثير: جـ ٨ ص ٢٧٧ .

(١٥٣) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٨٦ .

السلجوقي سلطانا وقامت بالطبع الحروب بين السلطانين انتهت بانتصار سنجر، واعترف الخليفة له بالسلطنة[١٥٤]، ويبدو ان سنجر عطف على ابن اخيه فتصالح معه وقدم له هدية وعينه وليا لعهده من بعده وأعلن ذلك للخليفة العباسي ولامراء الدولة[١٥٥] .

والسلطان سنجر هو آخر السلاطين السلاجقة العظام. خطب له على المنابر بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يلقب بالملك[١٥٦]، وأناب عنه في العراق ابن أخيه محمود ومنحه كل ما قد تركه من رسوم السلطنة وشعائرها. وأعطاه خلعة خاصة، كما منحه قباء مرصعا بالجواهر وجوادا للنوبة مسرجا بسرج احمر، وفيلا عليه هودج مرصع، وأنعم على أمرائه حسب درجاتهم[١٥٧]. وأصبح نفوذ سنجر يمتد من حد كشغر الى اقصى بلاد اليمن ومكة والطائف ومكران وعمال واذربيجان الى حدود الروم[١٥٨]. وكان سنجر وقد بلغ هذا الحد الكبير من النفوذ الا ان عصره لم يخل من المشاكل التي أودت بدولته وحياته، وكان الخطر عليه مصدره القبائل التركية التي سكنت شمال شرقي ايران والتي تمكنت من تكوين دولة عرفت بالدولة القره خطائية وعاصمتها (بلاساغون)، وقد عظم نفوذ هذه الدولة وأخذت تهاجم المدن الاسلامية التي يعدها سنجر من أملاكه، ولما كثرت

---

(١٥٤) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٨٨ .

(١٥٥) المرجع السابق وصفحته .

(١٥٦) المرجع السابق جـ ٩ ص ٥٥ .

(١٥٧) راحة الصدور: ص ٢٥٩ .

(١٥٨) المرجع السابق: ص ٢٦٠ .

تعديات هذه الدولة جهز سنجر جيشا لمواجهة هذه القبائل، ولكــن القــره خطائية عندما وجدوا ان الخطر قد أحدق بهم، استماتوا في الــدفاع عــن بلادهم وأراضيهم في معركة عند (قطوان) بالقرب من سمرقند ســنة ٥٣٦ هــ - ١١٤١م وكانت نتيجة تلك المعركة هزيمة نكراء الحقــت بــسنجر، ووقعت زوجته أسيرة في أيدي القرخطائية[١٥٩]، وكان لهذه المعركة أثرها الكبير في اضعاف سنجر وضياع هيبته، كما ان هذه المعركة شجعت أعداءه الخوارزميين والذين الحق بهم سنجر هزيمــة فــي "هــزار اســب" ســنة ٥٣٣ هــ / ١١٣٨ م الى معاودة العصيان ولكن سنجر تمكن فــي ســنة ٥٣٨ هــ / ١١٤٣ م من محاصــرة عــلاء الــدين أتــسز فــي مدينــة خوارزم[١٦٠]، وطلب علاء الدين من السلطان العفو عنه بعــد ان وجــد ان الحصار حوله صار محكما وشديدا، فعفا عنه السلطان وقام بين الطــرفين صلح وعاد سنجر الى مرو، ولكن القلاقل استمرت من الجانب الخوارزمي، حتى انتهت تلك الفتن والحروب الى اقرار صلح بــين أتــسز الخــوارزمي والسلطان سنجر ٥٣٨ هــ / ١١٤٣م وبموجب ذلك الصلح تقرر اســتقلال اتسز بخوارزم[١٦١]. وبذلك ظهرت على المسرح السياسي دولة جديدة هي الدولة الخوارزمية .

---

[١٥٩] ابن الاثير جــ ٩ ص ٤ .

[١٦٠] المرجع السابق: جــ٩ ص٧.

[١٦١] المرجع والصفحة انفسهما.

ان قوة سنجر أخذت في الضعف عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م حينما نشبت الحرب بينه وبين قبائل الغز التركية، وانه وقع أسيرا في أيدي تلك القبائل[١٦٢]، وبقي في الاسر ثلاث سنوات، احتال بعدها على الهرب حيث وصل الى مكان عرشه في مرو[١٦٣]، وعاش بعدها مدة قليلة ومات كمدا، اذ رأى ما حل بدياره من دمار[١٦٤]، ودفن في المقبرة التي كان قد أسسها من قبل في مرو[١٦٥]

وهكذا ينتهي عصر السلاجقة العظام بموت السلطان سنجر وقد لاحظنا أثر الضعف العام في المملكة السلجوقية والتنازع المستمر بين الامراء طمعا في السلطة كما لمسنا ظهور الحركات السياسية الخطيرة وبانتهاء هذا العصر، سنجد استمرار التنازع بين أولئك الامراء واستمرار ضعف الدولة العام، وبداية صفحة جديدة للدويلات السلجوقية التي كانت من أشهرها دولة سلاجقة العراق ودولة سلاجقة الروم ودولة سلاجقة كرمان وانتشرت الاتابكيات في العالم السلجوقي وكان من اشهرها أتابكية الموصل وأتابكية الشام وأتابكية سنجار وأتابكية الجزيرة .

---

[١٦٣] المرجع السابق: ص ٢٧٧ .

[١٦٤] ميرخوند: روضة الصفا: ص ٥٤ .

[١٦٥] راحة الصدور: ص ٢٧٨ .

الفصل الثالث

سلاجقة العـراق

جلوس محمود على العرش. نزاعه مع سنجر. تعيين محمود نائباً عن سنجر على العراق. سنة٥١٣هـ بدء قيام دولة سلاجقة العـراق. سـلطة السلطان محمود اسمية. ضعف السلطان محمود. منافسة اخوة محمود على السلطنة. النكبات التي جابهت بغداد. علامات الضعف. ظهـور العيـارين. الاضطرابات في البصرة. هجوم دبيس بن صدقة على البصرة. العلاقات بين السلطان محمود وأخية طغرل. السلطان محمود يقطع الامـراء اقطاعـات واسعة. الخلافة العباسية تأخذ بالقوة. وفاة السلطان محمود. المشاكل التي واجهت دولة سلاجقة العراق بعد وفاة محمـود. النـــزاع بـين الامـراء والملوك السلاجقة. الخليفة العباسي يتدخل في المناقـشات بـين الملـوك والامراء السلاجقة . الحروب بين الملوك السلاجقة. الخليفة يؤيد مـسعود وسنجر يؤيد طغرل. ثلاثة سلاطين في العالم السلجوقي. القتال بين طغرل ومسعود. الخليفة يحث مسعود لمحاربة أخيه طغرل. العلاقات بين مـسعود والخليفة المسترشد. الحرب بين الخليفة ومسعود. آسر الخليفـة. تـدخل سنجر. اغتيال الخليفة. تنصيب الراشد. استمرار الحروب في عهد مسعود. استفحال المشاكل في أواخر عصر السلطان محمود. سـوء الاحـوال فـي بغداد. وفاة مسعود . الامراء والاتابكة يتدخلون في شؤون السلطنة. النزاع

بين محمد والخليفة. السلطان محمد يحاصر بغداد. وفاة السلطان محمد . سوء الحالة في دولة سلاجقة العراق . توليه طغرل بين أرسلان شاه . الناصر يعاصر طغرل. وقوع الحرب بين خوارزمشاه وطغرل ومقتل السلطان طغرل.

انتهاء حكم السلاجقة في العراق خلاصة الموضوع .

نقر التقسيم الشائع وهو ان عصر السلاطين، سلاجقة العراق ، يبدأ عام ٥١١هـ/١١١٧م وهو العام الذي توفي فيه محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان. والسند في هذا التقسيم هو ان هذا السلطان كان ينقش اسمه على العملة الى جانب اسم سنجر، ويبرز بذلك انتسابه الى الدولة السلجوقية العامة.

أما بعد هذا التاريخ فان الروح الاقليمية تسود الدولة السلجوقية وتبرز بطبيعة الحال شخصية سلاجقة العراق.

وأول هؤلاء السلاطين هو السلطان محمود الذي حاول ان يستقل عن عمه.

وينسب هؤلاء السلاجقة الى العراق، وهم في الحقيقة سلاجقة العراقين ، لان العاصمة في هذه المرحلة ايضاً ظلت خارج حدود العراق الحالي . فقد كانت "همذان" عاصمة سلاجقة العراق . وتفصيل ذلك كله ان السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان توفي سنة احدى عشرة وخمس منة[1]

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص١٩٣ .

- ابن الاثير: ج٨ ص٢٧٧ .

في مدينة اصفهان[٢] وجلس ابنه محمود علي عرش السلاجقة[٣] واشتهر من وزرائه ربيب الدولة أبو منصور القيراطي[٤]، الذي دبر دولته ونجح في نيل اعتراف الخليفة العباسي لسيده السلطان محمود والخطبة له ببغـداد[٥] وكان محمود صغير السن يبلغ من العمر اربع عشرة سنة[٦] ولـه اربعـة أخوة هم مسعود وطغرال وسليمان وسلجق، وقد قدر لهؤلاء الاخـوة ان يتولوا السلطنة واحداً بعد الآخر سوى سلجق[٧] وفي ابتداء سلطنة محمود توفي الخليفة المستظهر بالله سنة ٥١٢هـ/١١١٨م[٨] وانتقلت الخلافة إلى المسترشد بالله العباسي[٩] .

---

[٢] ابن الجوزي : جـ٩ ص١٩٦ .

[٣] الرواندي: ص٣٠١ .

-ابن الأثير: جـ٨ ص٢٨٠ .

[٤] الرواندي : ص٢٩٩ .

[٥] ابن الاثير : جـ ٨ ص٢٨٠.

[٦] ابن الاثير : جـ ٨ ص٢٧٧.

[٧] البنداري: تاريخ آل سلجوق ص ١٠٩.

[٨] ابن الجوزي: المنتظم جـ٩ ص١٩٧.

-ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٢٨١.

- البنداري: آل سلجوق ص١٠٩ .

[٩] ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص ١٩٧ .

-ابن الأثير: الكامل ج٨ ص٢٨١ .

-الفخري : ص ٢٢١ .

وقد بينا في الفصل السابق ان سنجر وجد نفسه أفضل من ابن اخيه محمود في السلطة السلجوقية وطمع فيها، ومن ثم أعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة، وتوجه نحو العراق[١٠]، ولكن على ما يبدو ان الامراء المحيطين بالسلطان الحدث محمود، حفزوه على محاربة عمه، وقد عرضنا سابقاً ان تلك الحرب انتهت بفشل محمود وانهزام جيوشه وانتصار سنجر واعتراف الخليفة بسلطنته[١١]. ويظهر ان السلطان سنجر عطف على ابن اخيه فتصالح معه وقدم له هدية وعينه ولياً لعهده من بعده وأعلن ذلك للخليفة العباسي ولامراء الدولة[١٢]. وهناك رواية أخرى تذكر ان السلطان محمود انهزم وفر الى اصفهان مدحورا[١٣]، وأرسل (علي بار) الذي كان حاجب الملك محمود نائبه أبا القاسم الانساباذي[١٤] الى السلطان سنجر ملتمساً المعذرة على لسان محمود، قائلاً: أن ما حدث منه ناشئ عن طيش الطفولة.. وقد استقر الرأي على أن يلحق بخدمة عمه بالري، وان يبقى بها شهراً، وان لا يدق له بوق تركي في وقت الركوب أو النزول، وان لا تكون له خيمة حمراء جهرمية[١٥] وان يسير مترجلاً في ركاب عمه في اثناء ركوبه أو ترجله، وأن يترك كا ما يكون من شعائر السلطنة

---

(١٠) الراوندي : ص٢٥٨ .

(١١) ابن الاثير: ج٨ ص٢٨٦ .

(١٢) المرجع السابق: ص٢٨٦-٢٨٧ .

(١٣) الاصفهاني : زبدة النصرة ص ١٢٥ .

(١٤) الانساباذي هو ناصر بن علي المعرف بأبي القاسم الدركزيني.

(١٥) نسبة الى جهرم مدينة في اقليم فارس مشهورة بصنع الخيام .

ورسومها[١٦]، وقد ظل على هذه الحالة شهراً في خدمة عمه، فلما فعل ذلك السلطان محمود أنابه السلطان سنجر عنه في العراق ومنحه كل ما كان قد حرم منه من رسوم السلطنة وشعائرها. واعطاه خلعة خاصة، كما منحه قباء مرصعاً بالجواهر، وجواداً للنوبة مسرجاً بسراج احمر، وفيلاً عليه هودج مرصع وانعم على امرائه أيضا على حسب درجاتهم، وأرجعه الى دياره معظما مبجلاً[١٧].

ويمكن عدّ سنة ٥١٣هـ/١١١٩م البدء الفعلي لما يسمى اصطلاحا بدولة سلاجقة العراق، حيث أصبح السلطان محمود بصفة شرعية نائبا لسنجر في العراق واكتسب بذلك اعتراف الخليفة العباسي المسترشد بالله، واصبح السلطان محمود في الحقيقة تابعا للسلطان سنجر يأتمر بأمره ولا يعمل الا باشارته، فكان هناك في العالم السلجوقي سلطانان ، كبيرهما هو السلطان سنجر الذي اتخذ مدينة مرو عاصمة له وفضلها على غيرها من المدن[١٨]، وهو آخر السلاطين السلاجقة العظام، وكان جميع الملوك السلاجقة يهابونه وينفذون أوامره، أما السلطان الآخر فهو السلطان محمود، الذي عينه السلطان سنجر نائباً في العراق، فأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية يتبع لسلطنة سنجر، فكأنها سلطنة في قلب سلطنة، كما

---

[١٦] البنداري:زبدة النصرة ص ١٢٨-١٢٩ .

[١٧] الراوندي: راحة الصدور ص٢٥٩ .

-البنداري زبدة النصرة ص١٢٨-١٢٩

- ابن الاثير : ج ص٢٨٨

[١٨] Sanaullah: The decline of the seljuqid empire, p. 39.

أصبحت سلطنة العراق في عهد سنجر لا يرتقى الى عرشها الا من ارتضاه هذا السلطان فعند وفاة السلطان محمود توجه القادة الى السلطان سنجر طالبين منه ان يختار سلطاناً للعراق، فاختار السلطان سنجر، الملك طغرل سلطاناً للعراق كما اختاره ولي عهده[١٩]. وظل نفوذ السلطان سنجر قوياً حتى انهكته الحروب والفتن، وضعفت قوته الى ان توفي سنة٥٥٢هـ/١١٥٧م، وكان سلاطين السلاجقة في العراق يدفعون الجزية لسنجر[٢٠]، كما انه كان قد اشترط عليهم ان يذكروا اسمه في الخطبة قبل أسمائهم[٢١].

يتبين لنا أن سلطنة محمود كانت اسمية ومع ذلك فان سنجر منحه البلاد التي تمتد من حدود خراسان الى بلاد الشام وتشمل همذان واصفهان باقليم العراق العجمي وبلاد الجبال وكرمان وفارس وخوزستان والعراق العربي واذربيجان وارمينية وديار بكر والجزيرة وبلاد الشام، وبلاد الروم وكانت هذه بيد اولاد قلج أرسلان[٢٢]، الا اننا نرى في الحقيقة ان الصليبيين قدانتزعوا معظم بلاد الشام وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربعة هي بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرها كما انتزعوا المدن الساحلية، ولم يبق في أيدي المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب[٢٣]،كما كانت

---

[١٩] الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية: ص٩٩-١٠٠ .

[٢٠] Browne : Account of a Rare Manuscript History of seljuqs, p. 45.

[٢١] ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٢٨٨ .

[٢٢] ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص ٢١ .

[٢٣] Barker: The Crusades, p. 25 .

بلاد الجزيرة واذربيجان وفـارس وديـار بكـر موزعـة بـين الاتابكـة العديدين(٢٤)، والخلاصة ان سلطان محمود المباشر لم يكن يمتـد الا علـى العراقين العربي والعجمي.

ويبدو أيضاً ان السلطان محمود كان محاطاً ببطانة من المستـشارين الضعفاء ، وذلك أنهم اساءو الى حكم السلطان محمود بما اظهـروه مـن سوء التدبير، فمن سوء اعمالهم انهم صرفوا ما كان في خزانة الـسلطان محمد بعد وفاته وتقاسموه بمدة شهرين(٢٥)، فكان ذلك سبباً فـي احـداث أزمة اقتصادية شديدة، كما انهم عملوا على تشتيت مماليك السلطان الـذين كانوا يقومون بحراسته وخدمته وبهذا عملوا على اضعاف شوكة السلطان، وتفتيت الصف السلجوقي، وانهم ساعدوا على نشر الجواري والاماء فـي دور الحرم الى دورهم(٢٦)، وأدى هذا الى نشر المفاسد وانغمـاس رجـال الدولة في اللهو واللعب، كما سيطروا على السلطان واجترأوا عليه(٢٧) ومن المرجح أن سبب ذلك هو ان السلطان محمود كـان صـغيراً حـدثاً تـولى السلطة وهو في دور المراهقة، فعملت هذه البطانة المحيطة به على اشغاله باللهو والطرب، وقضاء الوقت في ملاعبة الصقور والفهود وكلاب الـصيد والبزاة والحمام(٢٨)، كما ان السلطان كان قد سـيطرت عليـه الامـراض

---

(٢٤) Lane-poole: The Mohammadan Dynasties, p. 152.

(٢٥) البنداري: آل سلجوق ص ١١٢ .

(٢٦) المرجع السابق: ص١١٣.

(٢٧) السلجوقي: ص١١٣ .

(٢٨) الراوندي: راحة الصدور ص٣٠١ .

المزمنة التي أنهكت قواه الجسمية ويذكر الراوندي: ان تلك الامراض تسببت له بسبب كثرة الجماع[٢٩].

ولم يسلم السلطان محمود من منافسة بعض أخوته له في السلطنة فقد أعلن مسعود وكان ملكاً على الموصل وأذربيجان الحرب على أخيه السلطان محمود ولكن مسعودا فشل في تلك الحرب وانهزمت جيوشه أمام جيوش السلطان محمود وكان ذلك سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م[٣٠].

ولم تسلم بغداد من النكبات في هذه الحقبة من تاريخها على عهد السلطان محمود، فقد هاجم بغداد دبيس بن صدقة واكثر فيها النهب والقتل والفساد[٣١]، ولم يأبه دبيس باستنكار الخليفة لاعماله، كما انه لم يستجب لاوامر السلطان بمنع أصحابه عن تلك الافعال، وهذه ظاهرة من علامات الانحلال والضعف لتلك المدة من الحكم السلجوقي

وبدت ظاهرة ضعف واضحة في هذه المدة، فقد ظهر العيارون في بغداد في سنة ٥١٤هـ[٣٢] واحدثوا فيها الفوضى والاضطراب والقلق،وبالطبع ان ظهور مثل هذه الحركات ، دليل واضح على تردي الحالة فمثل العيارين لا ينشطون الا في اوضاع الغير المستقرة والتي يكون فيها الحكام على درجة من الضعف تمنعهم من السيطرة على الامور

---

[٢٩] الراوندي: راحة الصدور ص٣٠١ .

[٣٠] ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٢٩١-٢٩٢ .

[٣١] ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٢١٧ .

-ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٢٠٠ .

[٣٢] ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص٢١٦ .

وفرض الامن واقرار النظام مع أن شأن العيارين لم يكن يؤمئذ عظيماً ذلك ان حركاتهم كانت قد ضعفت منذ دخول السلاجقة بغداد، اذ كان الحكام السلاجقة يتعقبون العصاة والخارجين على النظام بشدة واستمرار.

وشمل الضعف وعدم الاستقرار مدينة البصرة، حتى أدى ذلك الى ظهور فتنة فيها أدت الى قتال واضطرابات، سيطر في نهايتها على بن سكمان على البصرة وصار يحكمها مستبداً دون موافقة السلطان(٣٣)، كما ان هذه المدينة أصابتها نكبة جديدة من جراء هجوم غادر عليها قام به دبيس ابن صدقة صاحب الحلة الذي كان قد هرب من امام جيش الخليفة المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م والتجأ الى قبائل المنتفق(٣٤)، واتفق معها على غزو البصرة فوافقوه على ذلك ودخلوها ونهبوا اسواقها وقتلوا الكثير من أهلها كما قتل الامير "سخت كمان" مقدم العسكر السلجوقي في البصرة، وظلت الامور مضطربة قلقة في البصرة حتى وصلت جيوش السلاجقة بقيادة البرسقى فانهزم دبيس بن صدقة حيث التحق بالملك طغرل بن السلطان محمد(٣٥).

---

(٣٣) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص١٩٧-١٩٨ .

(٣٤) المنتفق: من أهم قبائل العراق، ومنازلها في المناطق الواقعة بين البصرة وبغداد وتتجول في الجزيرة بين دجلة والفرات وهي فرع من القبائل العدنانية تنتسب الى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة وكانت منازلهم الاجام والقصيب التي بين البصرة والكوفة .

(٣٥) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٠ .

وكانت علاقة السلطان محمود بأخيه طغرل صاحب قلعة سرجهان، وساوة وآوة وزنجان غير حسنة ففي سنة ٥١٣هـ/١١١٩م جهز جيشاً لحرب طغرل، لكن على ما يبدو ان صلحاً حصل بين الفريقين لعدم وقوع القتال[٣٦].

وبالرغم من ضعف هذا السلطان واحتياجه الى المال نجده يقطع الاقطاعات الكبيرة للامراء السلاجقة، فقد اقطع في سنة ٥١٥هـ مدينة الموصل وأعمالها وما يضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرقسي[٣٧]، وفي السنة نفسها اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي الارتقي[٣٨]. وفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقى مدينة واسط واعمالها مضافاً الى ولاية الموصل، وشحنكية العراق، فلما اقطعها البرسقى سير اليها عماد الدين زنكي ابن آقسنقر وامره بحمايتها[٣٩].

وفي هذا العهد بدأت الخلافة العباسية تسترد شيئاً من قوتها وتملأ الفراغ الذي شغل السلاجقة بخصوماتهم عن ملئه، وتنتهز كل فرصة للعمل على الحد من سلطانهم، ولكن الذي ابقى على السلطنة السلجوقية قوتها ان الخليفة لم يكن بعد قد استعد الاستعداد الكافي لضربهم، كما ان الادارة

---

[٣٦] المرجع السابق: ج ٨ ص٢٨٥-٢٨٦ .

[٣٧] ابن الاثير : ج٨ ص٣٠٢- ابن خلكان: ج١ ص٧٩-٨٠ .

[٣٨] ابن الاثير: ج٨ ص٣٠٤ .

[٣٩] ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٠٩- ابو شامة: الروضتين ج١ ص٢٧- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص١١٤ .

والجيش كان معظمها تحت اشراف السلاجقة، ان ما دفع الخليفة الى ذلك هو ما تلمسه من المفاسد المستشرية في البلاد الاسلامية ، ونحن نرى الخليفة يبين للسلطان محمود ما اصاب البلاد من الضعف والوهن بسبب حركات تمرد دبيس بن صدقة، صاحب الحلة، وما احدثه عسكره فيها من فساد كما أخذ عليه ما انتشر من الغلاء في العراق بشكل كبير[٤٠] ثم انتهى الامر بين الطرفين الى الحرب بين جيوش الخليفة المسترشد والسلطان محمود معارك، وحاصر السلطان بغداد سنة ٥٢١هـ، اضطر الخليفة في نهاية الامر الى قبول الصلح[٤١]. ومن ثم رجع السلطان محمود الى همذان.

وفي سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م قدم السلطان محمود بغداد ومعه دبيس ابن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله، ورجع السلطان محمود الى همذان ثانية، ولكن دبيس هذا عاد الى احداث القلاقل والفوضى في البلاد مستغلاً فرصة وفاة زوجة السلطان محمود ومرضه، فقصد دبيس العراق

---

[٤٠] ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٢٥٩- ج١٠ ص ٤ .
ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٢١ .
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٥ ص ٢٥٩ .
البنداري: آل سلجوق ص١٧٨ .
ابن خلكان: وفيات الاعيان ج١ ص١٧٧ .

[٤١] راحة الصدور: ص ٣٠١ .
البنداري: زبدة النصرة ص١٥٢ .
ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٢٣ .

ودخل الحلة وسار الى البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة كما أخذ ما للخليفة والسلطان هناك من الداخل[٤٢].

وفي سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م توفي السلطان محمود في همذان واعقبت وفاته مشاكل جديدة واجهت السلطنة السلجوقية، فالخليفة العباسي المسترشد بالله آخذ بالقوة واصبح عاملاً قوياً من عوامل المعارضة للحكم السلجوقي، كما انه صار يلعب دوراً مهماً في احداث الفرقة والخلاف في صفوف السلاجقة بقصد اضعافهم وتشتيت كلمتهم. ان وفاة محمود كانت الشرارة التي سببت اشعال نار الفتنة والخلاف بين الامراء والملوك السلاجقة وكان كل أمير يرى في نفسه الاحقية والاهلية في عرش السلطنة، فبعد وفاة محمود خطب لولده داود ببلاد الجبل واذربيجان[٤٣]، ولكن سرعان ما سار عمه مسعود من جرجان الى تبريز واستولى عليها، فلما علم الملك داود بذلك سار لملاقاة عمه، فحاصره في تبريز وجرى بينهما قتال انتهى بالصلح[٤٤].وكان كل من مسعود وداود يريد السلطنة لنفسه ويأمل في أن يحصل على اقرار من الخليفة العباسي بذلك، فاتجه مسعود

---

[٤٢] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٢٠-٢١.
ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص٣٢٨ .

[٤٣] ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٣٣.
ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص١٠

[٤٤] ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٣٥.

نحو بغداد يطلب الخطبة من الخليفة، كما وصلت رسل الملك داود للغرض نفسه[٤٥].

ومن الطبيعي كما يبدو لي ان يعمد الخليفة الى اغتنام الفرصة لاضعاف السلاجقة واحلال الفرقة في صفوفهم ، فأجاب الخليفة لكل من تقدم في طلب الخطبة لنفسه، : ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر، من اراد خطب له، وأرسل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد في الخطبة، فان الخطبة ينبغي ان تكون له وحده، فوقع هذا موقعاً حسناً[٤٦] في نفس سنجر، ولكن الحوادث ستبرهن، ان الخليفة المسترشد بالله العباسي الذي يعتبر طليعة الكفاح العباسي ضد التحكم السلجوقي، كان لا يهمه ان يكون السلطان الذي يخطب له داود او مسعود، سنجر او سلجوقشاه، بل الذي يهمه هو التخلص من ذلك الحكم الغريب. ومن المرجح، أن في قول الخليفة المسترشد"في أن الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر" تدبير سياسي كبير، كان المسترشد يستهدف من اطلاق هذا التصريح، توجيه أنظار السلاجقة الى سنجر وايقاعهم في خضم المنافسة الشديدة على رئاسة البيت السلجوقي وهذا التصريح من ناحية اخرى دعوة سلمية صادرة من الخليفة الى السلاجقة الى ان يتحدوا تحت رئاسة واحدة وهي دعوة غير مقصودة لذاتها فالخليفة أول من يعلم ان بذور الفرقة تأصلت فيهم بل هي دعوة هدفها صالح الخلافة واسترداد هيبتها، وقد نجح الخليفة في بلوغ هدفه

---

(٤٥) المرجع السابق: ص٢٤١ ج٨ ص٣٣٥ .

(٤٦) المرجع السابق: ص٢٤١ ج٨ ص٣٣٦ .

نجاحاً بعيداً فتشتت وحدة الصف السلجوقي وقام التنازع بين الملوك والامراء . وتهيأ الجو لتمكين الخلافة العباسية فيما بعد للتخلص من السلاجقة ومن السيطرة على زمام الامور .

ثم واجه مسعود منافساً آخر هو سلجوقشاه وكاتب مسعود عماد الدين زنكي صاحب الموصل يستنجده ويطلب مساعدته ضد سلجوقشاه فوعده النصر[٤٧]، ففرح مسعود وقويت عزيمته على طلب السلطنة، وتوجه الملك سلجوقشاه مع أتابكة "قراجة الساقي" صاحب فارس وخوزستان في جيش كبير. الى بغداد فوصل اليها قبل وصول الملك مسعود ونزل في دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه، وبعد أيام وصل رسول الملك مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها[٤٨]، ولكن الخليفة المسترشد لم يجب طلب رسول مسعود بل استعد لمقاتلة عساكره، ونجح الخليفة في ايقاع الهزيمة بالجيوش المسعودية بقيادة عماد الدين زنكي الذي هزب الى تكريت وعبر فيها دجلة عندها، وقد ساعده على العبور (نجم الدين ايوب) الذي كان الدزدار[٤٩]، في مدينة تكريت[٥٠]. ولما علم مسعود بانهزام صاحبه عماد الدين أخذ في طلب التفاهم مع الخليفة وسلجوقشاه على

---

[٤٧] ابن الاثير: ج٨ ص٣٣٦ .

[٤٨] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٢٥ .

ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٣٦ .

[٤٩] الدزدار: وهو متولى القلعة وهي من الكلمة الفارسية "دز" تعني قلعة ودار أي المتولي والمالك.

[٥٠] ابن الاثير: ج٨ ص٣٣٦ .

أساس أن السلطان سنجر عازم على قصد الخليفة وغيره، فأتفق الخليفة المسترشد ومسعود وسلجوقشاه على أن يجتمعوا لقتال السلطان سنجر، شريطة أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة للملك مسعود ويكون سلجوقشاه ولي عهده[٥١]، وعلى هذا الاساس استعدوا لحرب سنجر

وتوجه السلطان سنجر ومعه الملك طغرل بن السلطان محمد من الري الى همذان، فسمع الخليفة ومسعود بخبره، فاتفقوا على ملاقاته وحربه على أن يكون الخليفة معهم، وسار مسعود وسلجوقشاه وقراجه الساقي نحو سنجر، ولكن الخليفة المسترشد كان متريثا فتأخر بعض الشيء، وعند وصول الخليفة الى خانقين طرق سمع الخليفة انباء وصول (عماد الدين زنكي) و(دبيس بن صدقة) الى قريب بغداد[٥٢]، وكان (سنجر) قد اقطع دبيس بن صدقة، الحلة كما ان عماد الدين زنكي ذكر ان سنجر اعطاه شحنكية بغداد[٥٣]، ولكن الخليفة المسترشد تمكن من مقابلة عماد الدين ودبيس وايقاع الهزيمة بجيشهما[٥٤]، أما جيوش(مسعود) و(سلجوقشاه) فانها لم تتمكن من قوات السلطان سنجر الذي أنزل بجيش مسعود وسلجوقشاه وأنصارهما هزيمة بالقرب من مدينة دينور عام ٥٢٦هـ/

---

[٥١] ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص٢٥ .
ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٣٦ .

[٥٢] ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص٢٦ .

[٥٣] ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٣٧ .

[٥٤] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٢٦ .
ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٣٧ .

١١٣١م، ونجح في تثبيت ابن أخيه طغرل سلطاناً على سلاجقة العراق وخطب له في جميع البلاد[٥٥].

وقبل ان تطأ أقدام طغرل بغداد، اذ لا يزال في خراسان أعلن الملك داود بن السلطان محمد شقيق السلطان طغرل العصيان عليه ولكن طغرل تمكن من هزيمة داود وهرب داود منهزماً الى بغداد[٥٦]. وفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م واثر هزيمة داود، قصد مسعود بغداد ونزل بدار السلطنة. وخاطب في الخطبة له فأجيب الى ذلك . وخطب له ولداود من بعده[٥٧]، واتفق الجميع على أن يجهزوا جيشاً كبيراً يقوده مسعود وداود ضد طغرل وان يسهم الخليفة في اعداد ذلك الجيش، وتقدم الجيش فوصل مراغة وملك مسعود بجيشه هذا سائر اذربيجان، ودارت بين جيشه وجيش طغرل معارك كثيرة الى أن وصلت جيوش مسعود الى همذان وأوقعت هزيمة بجيش طغرل واستولت على المدينة ثم استولت على مدينة اصبهان، وصار مسعود يتعقب آثار اخيه الذي ولى هارباً تاركا البلاد لاعدائه يحتلون مدنها الواحدة تلو الاخرى[٥٨]. وباستيلاء مسعود على همذان يكون قد ظفر

---

[٥٥] ابن الاثير: ج٨ ص٣٣٦ .

[٥٦] المرجع السابق: ج٨ ص٣٣٨.

[٥٧] المرجع السابق: ج٨ ص٣٣٩ .

[٥٨] ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٣٩-٤٤٠ .

- ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٢٩ .

بعرش سلاجقة العراق، ثم وقعت بين الطرفين معارك تبادلا فيهـا النـصر والهزيمة[٥٩].

في عام ٥٢٧هـ/١١٣٢م كان في العالم السلجوقي ثلاثة سلاطين، السلطان سنجر وهو رأس السلاجقة وكبيرهم، والسلطان طغرل الذي أجلسه عمه السلطان على عرش السلطنة وخطب له بذلك، والسلطان مسعود الذي نافس طغرل فيها وخطب له الخليفة بها، ان هذه الحالة بالطبع تؤدي الى حروب ومنازعات شديدة، وتعمل على تحطيم قوى السلاجقة وتبعدهم عن وحدة الصف عن الانصراف الى الاعمال الحضارية.

وحقاً تجدد القتال بين السلطان طغرل والسلطان مسعود عام٥٢٨هـ/١١٣٣م واستولى طغرل على الجبل كما تمكن من اجلاء جيوش اخيه مسعود، واتجه طغرل نحو قزوين، ولما هم مسعود لمواجهته وجد انقساما في صفوف أمرائه وكان هناك بعض منهم من استماله طغرل ، وبقي مسعود في قلة من العسكر، فولى منهزماً وأرسل الى الخليفة المسترشد يستأذنه لدخول بغداد فأذن له، وكان نائبه بأصفهان البقش السلاحي ومعه الملك سلجوقشاه، فلما سمع بهروب مسعود، قصد هو الآخر بغداد، بينما اقام السلطان طغرل بهمذان[٦٠].

---

[٥٩] الراوندي: راحة الصدور ص٣٠٦ .
ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٣٤٥ .

[٦٠] ابن الأثير: الكامل ج٨ ص٢٤٣ .

أخذ الخليفة المسترشد بالله يحث ويشجع السلطان مسعوداً على منازعة أخيه طغرل وصار يمنيه ويؤمله ان يسير معه بنفسه، ولكن نفـرة وقعت بين الخليفة والسلطان مسعود بسبب اطلاع الخليفة على رسائل من طغـرل الى الامراء السلاجقة يمنيهم بالاقطاع ان وقفوا الى جانبه، فقبض الخليفة على أحد الامراء المدعو(غلبك) ونهب ماله، فاستشعر غيره من الامـراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فأرسل الخليفة اليـه اعادتهم، فلم يفعل[٦١]، وكان هذا عاملاً من عوامل النفرة بـين الـسلطان والخليفة وانتهاء العلاقات الحسنة بينهما .

وفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م توفي السلطان طغرل بن السلطان محمـد، ولما بلغ النبأ مسعوداً، خرج الى همذان واستولى عليهـا وأصـبح بـذلك سلطان السلاجقة بلا منازع وقد آلت اليـه سـلطنة العـراق وكردسـتان واذربيجان في عام ٥٢٩هـ[٦٢] .

كانت العلاقات قد ساءت بين الخليفة المـسترشد والـسلطان مـسعود السلجوقي، ومما زاد هذه العلاقات سوءا، أن بعض الامـراء مـن جـيش مسعود التحقوا بالخليفة وطلبوا منه الامان خوفاً من غدر مسعود بهم، وقد حَسّنَ هؤلاء الامراء، للخليفة الخروج بجيش لمحاربـة مـسعود، فـاقتنع

---

[٦١] المنتظم: ج١٠ ص٣٦ .

-ابن الاثير: ج٨ ص٣٤٥ .

[٦٢] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٥٣.

- ابن الاثير : ج٨ ص٣٤٥ .
- ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ص٣٩.

الخليفة بتلك الفكرة، وتجهز للحرب وسار معه الامراء السلاجقة الذين كانوا قد هربوا من جيش مسعود، دخل الخليفة ايران، وكان مسعود قد وصلته الاخبار بقدوم جيش الخليفة فاستعد لمنازلته، وقد وقعت الحرب في دايمرج في طريق همذان من حلوان، وقاتل الخليفة قتالاً شديداً، ولكن انهزام جند الخليفة كان سبباً في وقوعه اسيراً في يد مسعود[٦٣]، وبعد هذا جمع مسعود جيوشه لمحاربة الملك داود الذي كان من المؤيدين للخليفة المسترشد، وكانت انباء أسر الخليفة قد تواترت الى بغداد فخرج اهلها يتظاهرون ضد السلطة السلجوقية[٦٤]، وكان حدثاً مهماً في العالم الاسلامي ارتاعت له النفوس، حتى ان سنجر سلطان السلاجقة الكبير رأى من الواجب على مسعود ان يعيد الخليفة معززا مكرماً الى عاصمة ملكه وكان يستحثه على ذلك ، وكتب اليه رسالة جاء فيها: "ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين يعني (مسعود) على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الارض بين يديه ويسأله العفو والصفح، ويتنصل غاية التنصل ، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها فضلاً عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل، ودام ذلك عشرين يوماً، ولقد خفت على نفسي من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس عن

---

[٦٣] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٤١-٤٥ .
-ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٤٧ -٢٤٨ .
- آل سلجوق: ص١٦٢ .

[٦٤] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص ٤٦ .
- ابن الاثير : ج ٨ ص٣٤٨ .
- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٨٧.
- آل سلجوق : ص١٦٣ .

الصلاة في الجوامع ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله ، فالله تتلافـــى أمرك وتعيد أمير المؤمنين الى مقر عزه"[٦٥] ، وقد نزل مسعود عند رغبة السلطان سنجر وطلب الصلح مع الخليفـــة شـــريطة ان يعـــوض الخليفـــة السلطان بالمال ويتعهد بعدم جمع الجيوش وان لا يخرج من داره[٦٦]. وهذه الظاهرة تدل على استمرار نفوذ سنجر وقوته، اذ لا زال السلطان سنجر هو صاحب الكلمة النافذة في العالم السلجوقي، وان السلاطين الـــسلاجقة فـــي العراق ملزمون بدفع الجزية للسلطان سنجر ومنهم مسعود نفسه[٦٧]. ولكن الخليفة المسترشد الذي نُصبَتْ له خيمة منفردة عن عسكر مسعود . هجم عليه جماعة من الاسماعيلية فقتلـــوه[٦٨]، ويعتقـــد بعـــض المـــؤرخين ان مسعوداً هو الذي دبر ذلك وأوعز بقتل الخليفة[٦٩].

---

(٦٥) ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٤٧ .
-السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٨٧ .
(٦٦) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٤٨ .
(٦٧) Browne: Account of a Rare Manuscript History of seljugs vi, pp. 20-21 .
(٦٨) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص٤٣٩ .
- الراوندي: راحة الصدور ص٣٣٠ .
- البنداري: زبدة النصرة ص١٧٨ .
- ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٤٨.
(٦٩) دحية : النبراس في تاريخ بني العباس ص١٥١ .
- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٨٧ .
- ابن الطقطقي: الفخري ص٢٢٣ .

بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله، بويع الراشد بالخلافـــة[٧٠]، واظهــر السلطان مسعود للخليفة الجديد الطاعة، ولكن بدأت التحرشات من جانــب السلطان مسعود، فأرسل في سنة ٥٣٠هـــ / ١١٣٦م، الامير بـــرتقش الزكوي من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد اســتقر علــى المسترشد من المال ومقداره اربعة مئة الف دينار، فأجاب الخليفة انـــه لا يملك شيئاً وان المال جميعه كان مع المسترشد بـــالله فَنُهِـــب[٧١]، ووقـــف الخليفة موقفاً صلباً ازاء هذا المطلب، ولما حاول السلاجقة اخضاع الخليفة بالقوة، استعد لهم الراشد، وواجههم بقوة كبيرة أدت الى انسحاب عـــساكر برتقش الى البندنيجين كما انحدر زميله"بك أبه" الى واسط ، ونهبت العامة دار السلطان[٧٢].

وقامت مشكلة جديدة بوجه مسعود، فقد تحالف ضده كثير من الامـــراء والملوك مع الخليفة العباسي، امثال الملك داود بن السلطان محمود وعماد الدين زنكي صاحب الموصل وبرتقش بازدار صاحب قزوين والبقش الكبير

---

[٧٠] ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص٥٠ .

- ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٤٩.
- ابن الطقطقي: الفخري ص٢٢٦ .
- دحية : النبراس ص١٥١.

[٧١] ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٥٢ .

[٧٢] ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص٥٤-٥٥ .

- ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٥٢ .

صاحب اصبهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة وغيرهم[٧٣]. وفي بغـداد، قطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود، ووصلت الاخبار بقـدوم السلطان مسعود بجيش لقتال المتحالفين فاستعد هؤلاء وكان الخليفة الراشد يشجعهم ويقوي من عزائمهم، وحاصر مسعود مدينة بغداد مـن الجانـب الشرقي، وأخذت أعمال الفوضى تعمل على تقويض وحدة الصف وتـضعف جبهة الخليفة، فقد أخذ العيارون يهاجمون الدور والمحلات، ورجع الملـك داود الى بلاده وتفرق باقي الامراء، عندئذ عبر الخليفة الى الجانب الغربي، وسار مع عماد الدين زنكي يريد الموصل، ودخل مـسعود بغـداد وجمـع العلماء والفقهاء والقضاة والاعيان، وحملهم على أن يشهدوا بظلم الراشـد ونهب الاموال وسفك الدماء بل وشرب الخمر، فأفتوا : انه يحق للـسلطان خلع الخليفة واستبداله بغيره، فخلع الخليفة الراشد، وولى مكانه المقتفـي لامر الله سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[٧٤]، أما الخليفة الراشد فانه لم يقم طويلاً في الموصل بل سار الى أصفهان، فوثب عليه هناك جماعة مـن الباطنيـة فقتلوه على باب أصفهان وذلك سنة ٥٣٢هـ / ١١٥٧م[٧٥].

---

[٧٣] ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٥٢ .

[٧٤] المنتظم : ج١٠ ص٥٦-٦٠ .

- ابن الاثير: الكامل ج٨ ص٣٥٤، وتاريخ الدولة الاتابكية ص٩٢ -٩٦ .
- الحموي: التاريخ المنصوري ٧٩ب مخطوط .

[٧٥] ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص٦٢ و ص٧٦-٧٧ .

- ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٣٦٢ .
- ابن الطقطقي: الفخري ص٢٢٧ .

واستمرت القلاقل والاضطرابات والحروب في عهد السلطان مسعود فقد اتفق بوزابة صاحب فارس وخوزستان، والامير عباس صاحب الري، والملك محمد بن السلطان محمود والملك سليمان شاه، اتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود، فسار السلطان مسعود لمواجهتهم ومعه الامير (عبد الرحمن طغايرك)، وكاد جيشه أن يتلاحم مع جيش (بوزابة) وحلفائه، فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود وشرع عبد الرحمن في تقرير الصلح بين الطرفين المتنافسين[٧٦]، وعين السلطان مسعود بعد ذلك الامير عبد الرحمن حاجباً ثم أسند اليه ولاية كنجة واران[٧٧]. وفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م استولى علي بن دبيس على الحلة، وصار يكثر فيها الفساد، فاقطع السلطان مسعود، الحلة، سلاركرد فسار اليها من همذان ونجح في استردادها من علي بن دبيس ، ولكن عليا سار الى واسط واتفق مع شحنتها الطرنطاوي وقصدوا الحلة فاسترجعوها من سلاركرد ورجع الاخير الى بغداد[٧٨]. وفي سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م حدثت مشكلة أخرى هددت السلطان (مسعود)، فقد خرج عليه جماعة من الامراء السلاجقة مثل "ايلدكز المسعودي" صاحب كنجة وارانية و "البقش كون خر" و "تتر الحاجب" و "طرنطاي المحموري" شحنة واسط وغيرهم من الامراء الكبار وكان سبب ذلك ميل السلطان

---

[٧٦] ابن الاثير : الكامل ج٩ ص١٠ .

[٧٧] الراوندي : راحة الصدور ص٣٤١ .

- البنداري: زبدة النصره ص٢١٥ .

[٧٨] ابن الاثير : الكامل ج٩ ص١٧ .

مسعود الى "خاص بك" واطراحه لهم، ففارقوه وساروا نحو العراق ولما وصلوا بغداد انهزم مسعود بن بلال شحنة بغداد الى تكريت، ووقع قتال شديد بين عساكر الامراء وعامة بغداد، فقتل من العامة خلق كثير ، وتدخل الخليفة في ايقاف هذه المعارك، وتمكن من اقناع الامراء بالرجوع فرحلوا الى النهروان فنهبوها وأفسدوا فيها، ومن الجدير بالذكر ان سنجر عم السلطان مسعود ، كان قد أرسل الى مسعود يطلب منه ابعاد"خاص بك" وهدده ان لم يفعل ان يقصده ويزيله عن السلطنة فلما تماهل مسعود وأخذ في المغالطة، سار السلطان سنجر الى الري فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما في نفسه وكان ذلك سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م[٧٩].

ان الاحوال العامة في بغداد والعراق كانت سيئة خلال حكم مسعود السلجوقي، فكثيراً ما عم الغلاء والقحط البلاد، وأهمل السلاطين أمور الري، ونشط العيارون فقاموا بنهب الاموال وكثر شرهم وتعددت ثوراتهم في سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م[٨٠]، وفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م عظم أمر العيار، ابن بكران وكثر اتباعه ببغداد والعراق، وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين، وخافه الشريف ابو الكرم الوالي ببغداد، فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامي باب الازج ان يشتد اليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن شره، وأراد هذا العيار ان يضرب السكة باسمه في الانبار ولكن الوالي.دبر حيلة

---

[٧٩] المرجع السابق ج٩ ص٢٥. .

[٨٠] المرجع السابق: ج٨ ص٣٥٥ .

وتخلص منه[٨١]، ولعل من أخطر ما وصلت اليه سوء الاحوال، ان العيارون ازداد أمرهم وتفاقم شرهم سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م ذلك انهم أمنوا من ملاحقة السلطة بسبب تعاون ابن الوزير وابن قاورت أخي زوجة السلطان معهم[٨٢]. غير أن السلطان أمر بمعاقبة ابن الوزير وابن قاورت، فهرب ابن الوزير وقبض الشحنة على ابن قاورت وصلبه[٨٣].

هذه صورة للحياة التي تعيشها بغداد والعراق في عصر مسعود واستمرت القلاقل والاضطرابات، والسلطان يدافع بكل ما اوتي من قوة لدرء الشر حتى وافته المنية عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م في همذان حيث دفن في مدرسة(سربرزة)[٨٤]. وبوفاة مسعود فقدت سلطنة السلاجقة في العراق شخصية قوية كانت على جانب كبير من الحيوية والنشاط وفي موته يقول ابن الاثير : ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعد راية يعتمد بها ولا يلتفت اليها[٨٥]. واخذت الفتن والاضطرابات تلعب دورها في اضعاف كيان الدولة السلجوقية[٨٦].

---

[٨١] ابن الاثير: ج ٨ص٣٦٢ .

[٨٢] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص١٠٥ .

- ابن الاثير: ج٩ ص٧ .

[٨٣] ابن الجوزي:المنتظم ج١٠ ص١٠٥ .

[٨٤] الراوندي: راحة الصدور ص٣٥٤ .

- اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ص١٢٨ يذكر انه دفن في مدرسة جمال الدولة في همذان .

- ابن الاثير : الكامل ج١١ ص٣١ .

[٨٥] ابن الاثير : ج٩ ص٣١ .

[٨٦] الكرماني : العقد الاعلى ص٧ .

بعد وفاة مسعود، أخذ الاتابكة والامراء يلعبون على المسرح الـسياسي وكان من أقوى أولئك الامراء، (خاص بك)، الذي سيطر على زمام الامـور وصار يضع السلاطين كيف شاء وقد خطب لملكشاه بن الـسلطان محمـود بناء على وصية السلطان مسعود، ولكن ملكشاه كان منصرفاً الـى اللهـو والشراب ومعاشرة النساء(٨٧) ،فعزله(خاص بـك) وأجلـس علـى عـرش السلاجقة محمد بن السلطان محمود أخي ملكشاه(٨٨)، ولكن هذا دبر مؤامرة تخلص فيها من خاص بك، وكان بعمله هذا قد فقد ثقة الامراء الذي ثـاروا ضده وحاولوا عزله عن العرش(٨٩) .

وانتهز الخليفة المقتفى الفرصة فرفع اسم محمد من الخطبة وكان هذا سبباً في قيام النزاع بين محمد والخليفة عام ٥٥١هـ/١١٥٦م،كمـا فكـر الخليفة المقتفي أن يستميل أحد أفراد البيت السلجوقي وهو سليمان شاه بن محمد، فادخله بغداد وأخذ عليه العهد والميثاق بطاعة الخليفة وخطب لـه ببغداد ولقب بألقاب أبيه غياث الدنيا والدين وجهزه الخليفـة بثلاثـة الاف فارس(٩٠) ،وتوجه سليمان شاه الى بلاد الجبل لمحاربة السلطان محمد، الا أن سليمان شاه خسر المعركة وهرب الى (مازندران) وسار من هناك الـى

---

(٨٧) الراوندي: راحة الصدور ص٣٥٩ .

(٨٨) البنداري: آل سلجوق ص٢٢٨ .

- خواندمير : حبيب السير ص١٠٨ .

(٨٩) البنداري: ص٢٢٨ .

- خواندمير : حبيب السير ص١٠٨ .

(٩٠) ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص٤٨ .

خرسان[٩١] ، وكتب السلطان محمد الى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغـداد والعراق فامتنع الخليفة عن ذلك فاتجه محمد الى بغداد وحاصرها، ولكـن وقوع فتنة في همذان جعلت السلطان محمد يترك بغداد وحصارها ويرجـع الى همذان وزال الخطر عن بغداد عندما وردت الانباء تفيد أن السلطان قد توفي سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م[٩٢] .

اختلف الامراء السلاجقة فيمن يخلفه في السلطنة، وكان بعض الامـراء يرغب في تولية أخيه ملكشاه، وبعض اخر يميل الى تولية عمـه سـليمان شاه، بينما راح فريق ثالث يفكر في تولية ارسلان بـن طغـرل[٩٣] . وقـد استولى ملكشاه على أصفهان وتركز فيها ولكنه لم يتمكن من الحصول على تأييد الجيش في همذان، بينما كانت الخطبة ببغداد تقرأ باسم سليمان شاه، وهدد ملكشاه، الخليفة انه سيتوجه الى بغداد ان لم تتم الخطبـة بأسـمه، ولكن المنية عاجلته اذ دس له أعداؤه السم فمات سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وقرئت الخطبة في أصفهان باسم سليمان شاه، الا ان سليمان شاه كان على ما يبدو من سيرته ميالاً الى اللهو، فدبرت ضده مؤامرة وقبض عليه فـي

---

[٩١] الراوندي: راحة الصدور ص٣٨١ .

[٩٢] ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص١٩١ .

البنداري : زبدة النصرة ص٢٨٧ .

ابن الاثير : الكامل ج٩ ص٦٦ .

[٩٣] ابن الاثير: الكامل ج٩ ص٦٧ .

همذان سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠ وسجن في قلعة علاء الدولة[٩٤]، ثم مات مسموماً سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م[٩٥].

ازاء تلك الحالة المضطربة استدعى الامراء أرسلان شاه بن طغرل وخطبوا له، ولكننا أصبحنا نلاحظ ازدياد نفوذ ايلدكز الذي كان حاكماً على أران، وكان أرسلان محتمياً في أمارته، وبذا أصبح هو المتصرف في شؤون الامور[٩٦]، كما أصبح من أعظم الشخصيات التي سيطرت على العراق وكردستان واذربيجان، وكانت السلطة الفعلية له، بينما لم تكن للسلطان أرسلان سوى الخطبة وذكر اسمه على السكة، ومات ايلدكز سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م وتوفى السلطان أرسلان سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ومن الملاحظ أن الخليفة العباسي لم يوافق على أن يخطب لارسلان شاه، وان ايدلكز أرسل الى الخليفة سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م يطلب الخطبة لارسلان شاه وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فأهين رسوله وأعيد اليه على أقبح حالة[٩٧].

وتولى عرش السلاجقة "طغرل بن ارسلان شاه" وكان طفلاً في السابعة من عمره، وهذا السلطان هو آخر سلاطين السلاجقة في العراق، وكان خليفة العباسيين في هذا العصر هو الناصر لدين الله أقوى الشخصيات التي

---

[٩٤] الراوندي: راحة الصدور ص٣٩٩.

[٩٥] ابن الاثير: الكامل ج٩ ص٨١

- البنداري : زبدة النصرة ص٢٩٦.

[٩٦] حمد الله المستوفي: تاريخ كزيدة ص٤٧٠.

[٩٧] ابن الاثير : الكامل ج٩ ص٧٣.

تولت الخلافة في عصورها المتاخرة، وقد قامت حروب بين الخليفة وطغرل، كما بدت في الجو المحاولات من جوانب مختلفة تريد الاطاحة بنظام طغرل، كما وقع طغرل أسيراً في أيدى منافسيه وخصومه وعلى رأسهم قزل ارسلان الذي سجن السلطان في قلعة بأذربيجان[٩٨] وسيطر قزل ارسلان على السلطنة وتزوج بالخاتون زوجة أبيه جهان بهلوان، واعلن نفسه سلطاناًسنة ٥٨٧هـ/١١٩١، الا ان هذا لم يتمتع بمنصب السلطنة طويلا اذ ظهر من يحقد عليه وينافسه السلطة والنفوذ، وكان على ما يبدو سيء السريرة وكان منصرفاً عن زوجته التي تآمرت عليه واغتالوه في فراشه[٩٩] ونشبت بعد ذلك المنازعات والمشاحنات بين الامراء السلاجقة واغتنم السلطان طغرل الفرصة فهرب من سجنه وتعاون مع الامراء السلاجقة، وانتصر على ابن عمه قتلغ عند قزوين وتوجه الى همدان وجلس من جديد على العرش[١٠٠]. وفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م جرت اتصالات بين الخليفة الناصر لدين الله، وجهة أخرى غير سلجوقية، هي الدولة الخوارزمية ليقضي بمعونتها على السلاجقة وأظهر الخليفة في

---

[٩٨] ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص٢١٨ .

حمد الله المستوفي: كزيدة ص٤٧٥ .

[٩٩] راحة الصدور: ص٥٠٢ .

ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص٢١٨ .

الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص١٨١ ذكر خبر تآمر زوجة قزل ارسلان عليه .

[١٠٠] راحة الصدور : ص٥٠٢-٥٠٤ .

ابن الاثير : الكامل ج٩ ص٢٣٠ .

رسائله الى خوارزمشاه الشكوى من سوء نيات طغـرل الثالـث، كمـا ان الخليفة بين في رسائله انه سيملكه البلاد التـي يملكهـا طغـرل، فـسار خوارزمشاه من نيسابور الى الري، والتقى بعسكر السلطان طغرل بـالقرب منها، فحمل طغرل بنفسه في وسط المعركة وتغلغل فـي صـفوف جـيش خورزمشاه فأحاط به العساكر الخورزمية وقتلوه[١٠١] ، وحملوا رأسه الـى (خوارزمشاه) فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها ببـاب النـوبى عـدة أيام[١٠٢] وبذلك تخلص الخليفة من آخر مظهر من مظاهر الحكم السلجوقي وأعلنت الخلافة استقلالها التام من النفوذ والتحكم السلجوقي.

كانت تلك هي نهاية حكم السلاجقة للعراق، نهاية لابد منها لما حملـت هذه الدولة في مسيرتها التاريخية من المشاكل والاحداث، ولعل الخصومات والمنازعات بين افراد البيت السلجوقي كانت العامل الاول والرئيس ، فـي تفتيت الوحدة السلجوقية وان البناء الشامخ الذي جاهد مـن اجـل بنائـه وتشييده السلاطين العظام، طغرل بك والب أرسلان وملكشاه،أخذ يتداعى من بعدهم، وكانت الدولة قد بلغت حداً واسعاً، وامتدت رقعتها من حدود الصين شرقاً الى جورجيا والاراضي المجاورة لمدينة القـسطنطينية غربـاً، كمـا شملت بيت المقدس وبلاد العرب[١٠٣] .

---

(١٠١) الراوندي : راحة الصدور ص٥١٤ .

ابن الاثير : ج٩ ص٢٣٠ .

الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٢-١٧٣ .

(١٠٢) ابن الاثير : الكامل ج٩ ص٢٣٠

(١٠٣) Gibbon: The decline and fall of the Roman Empire, vol. P.45-47 .

ان هذه الامبراطورية الواسعة صارت تتداعى كما قلنا بسبب الانقسامات الكبيرة بين زعماء السلاجقة، فقد قام نزاع داخلي شديد بين أبناء ملكشاه واحفاده لذلك انصرف السلاطين وامراء الدولة كما لاحظنا عن أمور المملكة ومصالحها، وأخذ كل واحد يعمل جهده من أجل الابقاء على نفوذه وسلطانه، بل أخذ بعض منهم يحاول اضعاف زميله في سبيل السيطرة على أملاكه، وهذا بالطبع أدى الى فرقة الصفوف، ومن ثم الى ايجاد امارات (أتابكات) عديدة، ولعلنا نصيب الحقيقة عندما نضع بداية الانقسام عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، فان ملكشاه خلف أربعة أولاد صغار أكبرهم بركيارق وكان في الثانية عشرة من عمره ثم يليه محمد فسنجر فمحمود وبالطبع كان لكل أمير حاشيته ومربوه، أضف الى ذلك ان لكل أمير أماً هي غير ام الآخر، فكانت أم بركيارق تدعى زبيدة، وكانت تركان خاتون أما لمحمود[١٠٤]، بينما كان محمد وسنجر من أم واحدة[١٠٥]، وقد لمسنا كيف جاهدت السيدة تركان خاتون من أجل ان تكون السلطنة لولدها محمود، في الوقت ذاته كان بركيارق يرى نفسه أحق بالسلطة من محمود، فنشب لذلك نزاع عنيف كانت له نتائج خطيرة أدت بمرور الزمن

---

(١٠٤) Browne: Aliterary History of Persia, vol, p. 300.

الكامل : حوادث سنة ٤٨٥ .

راحة الصدور: ص٢٠٨ .

(١٠٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٤ ص١٦٣ اسمها خاتون السفرية : المنتظم ج٩ ص٢٢٨ .

الى احداث تصدع كبير في صفوف السلاجقة، كما شجع الامراء الآخرين الى خوض مثل ذلك النزاع. ..

وكانت الحاشية التي تحيط بالامراء كثيراً ما تشجع على المطالبة بالسلطنة طمعاً منها في الحصول على المناصب العالمية والاقطاعات الواسعة، وقد تبين ذلك واضحا ما بذلته السيدة تركان خاتون من الاموال للامراء في سبيل تنصب ولدها محمود سلطاناً وكان وزيرها، تاج الدين من الذين يؤيدها في ذلك وقدم لها المساعدات(١٠٦) ، وأرسلت تركان خاتون الى الخليفة المقتدى، تطلب لابنها السلطنة واقامة الخطبة له على منابر بغداد، ولما اعتذر الخليفة لصغر سن ولدها أكرهته على الموافقة(١٠٧) وقد نجح بركيارق في منطقة الري في ان يحصل على تأييد عدد كبير من رجالها فنادوا به سلطاناً على البلاد(١٠٨) وبذلك أصبح في العالم السلجوقي سلطانان، بركيارق ومحمود، وقامت الحرب بين الطرفين المتنافسين انتهت بانتصار بركيارق على أخيه محمود وأسر وزيره تاج الملك الشيرازي وقتله(١٠٩) ، وحاصر بركيارق السيدة تركان خاتون وجنودها في أصفهان ولما وجدت السيدة شدة الحصار قدمت لبركيارق الاموال لكي يفك الحصار عنها فوافق على ذلك واتجه نحو همذان، ونجح بركيارق أيضاً في استمالة بعض رجالات السيدة تركان خاتون، وبرغم الجهود التي بذلتها السيدة فان بركيارق قد أصاب نجاحاً كبيراً في احباط الحركة التي قام بها عمه تتش

---

(١٠٦) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول : ص٣٣٧ .

(١٠٧) راحة الصدور : ص٢١٦ .

Browne: Account of a Rare Manuscript History of seljugs, p.35

(١٠٨) راحة الصدور: ص٢١٧.

(١٠٩) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص٣٣٨.

الذي كان واليا على دمشق، كما هزم اسماعيل بن ياقوت خاله والذي حرضته تركان خاتون ووعدته بالزواج منها لو تمكن من بركيارق وتخلص منه[110] . وفي الرابع عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، خطب لبركيارق في بغداد بأمر الخليفة المقتدى ولقب ركن الدين[111].

هذه صورة واحدة من صور المنافسة والخصومة من أجل الوصول الى السلطة، ترينا دور الامهات والامراء والوزراء في الخلافات على السلطنة وكانت هذه الحالة الخطيرة تعانيها الدولة السلجوقية بشكل واضح، وهذا ما كان على صعيد السلطنة هناك نزاع آخر نشب على صعيد الامراء، فقد كان هؤلاء الامراء يحاول كل منهم ان يتقدم ويرقى ويتوسع على حساب الآخر، ومنذ ان بدأت الاقطاعات للمقربين بدأ عامل التنافس والطمع يلعب دوره في تفتيت واضعاف الامارات والتي يتكون منها العالم السلجوقي، فالسلطان ملكشاه بن الب ارسلان اقطع الاقليم على من كان يعتمد عليه من السلاجقة، فاقطع أخاه(تتش) مدينة دمشق واعمالها المجاورة كطبرية وبيت المقدس[112]. واقطع آقسنقر مدينة حلب واعمالها فضلاً عن مدن حماة ومنبج واللاذقية[113]، واقطع اخاه(ارغوان) أعمال فارس وكرمان[114]. وفي سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م جمع آقسنقر صاحب حلب جنوده وسار نحو قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم

---

(110) الراوندي: راحة الصدور ص .

(111) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص١٧٠ .

(112) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص٢٤ .

(113) المرجع السابق : ص١١-١٨ .

(114) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص١١٣ .

صالحه صاحبها وعاد الى حلب[١١٥]، بينما طمع تتش في مدينة حلب بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م وخطب لنفسه بالسلطنة واستولى على نصيبين وقتل عدداً كبيراً من اهلها[١١٦]، فتجهز له السلطان بركيارق وانضم اليه آقسنقر فانهزمت جيوش تتش ورجع الى الشام، كما رجع آقسنقر بعد فترة الى حلب ولكن تتش صار يتحين الفرص به أي (آقسنقر) وفي سنة ٤٨٧/١٠٩٤م تمكن من اغتياله وبذلك استطاع ان يمد نفوذه في بلاد الشام، ثم استمر نزاع آخر بين تتش والسلطان بركيارق كانت نتيجته هزيمة نكراء الحقت بتتش سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م والذي قتل بأيدي أنصار آقسنقر[١١٧] .

هذه صورة أخرى لحالة من حالات التفكك في الدولة السلجوقية حيث نلمس عوامل الهدم واضحة جلية، وان هذا التخاصم والتنازع لم يكن سبباً في اسقاط الدولة السلجوقية أو في اضعافها بل أنه أدى الى أمر أخطر من هذا ، أدى الى اضعاف جبهة المسلمين خاصة في منطقة الشام، مما سهل على الصليبيين أن يتمركزوا ويستولوا على كثير من المدن والبلاد.

ان الخلافة في بغداد كانت ضعيفة ولم يكن بمقدور الخليفة العباسي أن يهيمن على الامور أو ان يحد من تصرفات الامراء المتخاصمين او ان يقف عل الاقل الى جانب الحق، ولكننا وجدنا الخليفة العباسي يوافق على أن يخطب لكل غاز لبغداد أو الذي يعتقد فيه أنه الاقوى، وهذا بالطبع كان من

---

[١١٥] المرجع السابق : ج٨ ص١٤٨ .

[١١٦] المرجع السابق : ج٨ ص١٦٦-١٦٧ .

[١١٧] المرجع السابق: ج٨ ص١٧٥- ١٧٦ .

Lane Poole: The Mohammadan Dynasties p.152 .

العوامل المساعدة على اضعاف السلاجقة ومن المرجح أن بعض الخلفاء بعد أن رأى من الضروري اضعاف العنصر السلجوقي والتخلص منه ومن نفوذه كان يسعى الى ايقاد الفتنة بين السلاطين المتنازعين .

وخلاصة القول ان مملكة السلاجقة بعد وفاة ملكشاه بن الب ارسلان،واجهت مشاكل خطيرة أدت الى انقسامات كبيرة، وانشغل السلاطين والامراء في العصر التالي عصر سلاجقة العراق عن مصالح الدولة الى تثبيت مراكزهم ومخاصمة الواحد منهم للآخر، وأصبحت الدولة نهباً مقسماً على الامراء والاتابكة العديدين وكان الصليبيون قد سيطروا على كثير من ممتلكات السلاجقة ففي زمن محمود بن محمد بن ملكشاه انتزع الصليبيون معظم بلاد الشام من يد الامراء السلاجقة وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربعة وهي بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرها، ولم يبق في أيدي المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب[١١٨]، وظل للسلاجقة مع ذلك سلطان قوي في ايران هو سنجر ولكن نفوذ هذا السلطان زال بوفاته سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، أما في العراق فقد رأينا سوء الاوضاع وتعدد المشاكل أمام السلاطين وانشغالهم في حروب ومنازعات حتى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م وهي السنة التي قتل فيها طغرل آخر السلاطين السلجوقيين في العراق[١١٩] .

---

[١١٨] Barker: The Crusades, p. 25

[١١٩] الراوندي: راحة الصدور ص٥١٤.

ابن الاثير : ج٩ ص٢٣٠ .

الحسيني: اخبار السلجوقية ص ١٧٢-١٧٣ .

الفصل الرابع

كفاح الخلفاء العباسيين لاسترداد هيبة الخلافة

بدء الحكم السلجوقي – الفرق بين البويهيين والسلاجقة. محاولة السلاجقة كسب رضا الخليفة. بداية الخلاف بين السلاجقة والخليفة العباسي. سياسية السلاجقة القضاء على النفوذ البويهي. التقاء الخليفة والسلطان في الهدف. وقوع الخليفة تحت نفوذ السلاجقة. لماذا لم يقض السلاجقة على الخلافة العباسية. احترام السلاجقة للخليفة. مصلحة السلاجقة ابقاء الخلافة العباسية. لماذا لم يحاول السلاجقة تقوية إلخلافة. التدخل في شؤون الخلافة. موقف الخلافة من تنازع السلاجقة. بداية محاولات التخلص من النفوذ السلجوقي. المسترشد بالله العباسي.صفاته. محاولة الخليفة المسترشد ابعاد الخطر عن الخلافة. تمسك الخليفة المسترشد بأهداب الدين. محاربة الخليفة لدبيس بن صدقة. استعداد المسترشد للطوارىء. استغلال الخليفة لخلافات السلاجقة. الحرب بين الخليفة المسترشد ومسعود. استشهاد الخليفة المسترشد. مخالفة الراشد لأمراء السلاجقة ضد مسعود. تشويه سمعة الخليفة الراشد. مقتل الخليفة الراشد. خلافة المقتفي. محاولة الآمراء السيطرة على املاك السلطان. موقف المقتفي من السلاجقة. زيادة المكس وغلاء الاسعار.المقتفي يعمل

على تقوية الخلافة. ضعف مسعود. ازدياد قوة الخليفة العباسي. الخليفة العباسي يغتنم وفاة مسعود فيسعى الى تقوية مركز الخلافة. سيطرة الخليفة على اقطاعات السلاجقة سيطرة الخلافة على تكريت. استمرار النزاع بين الخلافة والسلطنة. حصار السلطان محمد لبغداد. وفاة المقتفي وخلافة المستنجد. الخليفة يطارد السلاجقة. علو مكانة الخلافة وازدياد نفوذها. توفر الامن وندرة الاضطرابات. وفاة المستنجد. سيطرة صلاح الدين الايوبي على الامور بمصر. وفاة ايلدكز. خلافة الناصر لدين الله. الناصر يستغل النزاع بين السلاجقة. جيش الخليفة يدخل همدان. السلطان طغرل يتوسل ويلتمس العفو من الخليفة. مقتل طغرل الثالث. الخليفة الناصر يحيي الفتوة ويتخذها نظاماً رسمياً. اصل الفتوة. مبادىء الفتيان. نتائج التنظيمات التي قام بها الناصر لدين الله.

دخل السلطان طغرلبك العراق عن طريق مدينـة حلـوان، وانتـشر السلاجقة في طريق خراسان المؤدي الى بغداد، وتقدم الخليفة الى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد، فخطب له يوم الجمعة لثمـان بقـين مـن رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وأرسل طغرلبك يستأذن الخليفة في دخول بغداد، فأذن له فوصل الى النهروان، وخرج الوزير في موكب عظـيم مـن القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه أعيـان الأمراء من عسكر الرحيم، فلما علم طغرلبك بحركتهم أرسل الى طـريقهم أمراء أهل بيته ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء وزير الخليفة الى السلطان أبلغه رسالة الخليفة، واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد، وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمسٍ بقـين مـن رمضان[١].

وقد استقبل طغرلبك استقبالاً رائعاً شهده كبار رجال الدولة وأعيانها، كما كرمه الخليفة المغلوب على أمره، أعظم تكريم اذ أمر أن يذكر.أسمه في خطبة الجمعة قبل دخوله بغداد كما ذكرنا سابقاً، ولقبه ركن الدولة طغرلبك واعترف الخليفة به سلطاناً على جميع المناطق التي تحت يديه[٢].

وبدخول السلطان طغرلبك بغداد بدأ النفوذ السلجوقي يسود العـراق، ومن المرجح أن السياسة التي اتبعها السلاطين السلاجقة في حكمهم للعراق

---

(١) المنتظم جـ٨ ص١٦٤

ابن الاثير: الكامل جـ٨ ص٧١

الفخري: ص٢١٥

(٢) راحة الصدور ص١٧٠

لا تختلف في شيء عن سياسة حكمهم للبلاد الاخرى، سوى أنهم كانوا يجدون في الخليفة العباسي المقام الروحي والذي يستمد منه السلاطين والملوك السلاجقة أحقيتهم وشرعيتهم في الولاية والحكم، فالسلاجقة وأن غادر سلاطينهم بغداد ولم يتخذوها مقر حكم، وتركوا حاكماً من قبلهم في العراق يعرف (العميد) كما عينوا مسؤولاً آخر عن النظام والأمن في بغداد يعرف (الشحنة) ووضعوا عساكر كثيرة تحت تصرف هذين المسؤولين، وسيطروا على العراق سيطرة تامة وتصرفوا في أمواله وخيراته تصرف الفاتح المحتل، وقد بدت هذه السيطرة واضحة وجلية بعد انتهاء ـ طغرلبك من القضاء على فتنة البساسيري، فقد سيطر على العراق سيطرة تامة، كما استسلم الخليفة لارادة السلطان وترك له كل شيء ووافق ان يجري عليه ارزاقه ويرتب له ما يكفي لسد جميع نفقاته[٣].

ومما لا شك فيه ان السلاجقة قوم كان همهم السيطرة والتوسع وبناء كيان سلجوقي كبير، وكانوا يطمعون في كسب رضا الخليفة العباسي ليحصلوا على اعترافه بشرعية حكمهم وهم يعلمون حق العلم ان الخلافة العباسية تعاني الضعف وتشكو الكثير من الازمات السياسية والاقتصادية والعسكرية ولكن السلاجقة حبذوا ابقاء الخلافة العباسية وتقويتها واسنادها وابعاد كل خطر يتهددها واظهار الولاء والطاعة لمقامها.

والسلاجقة بطبيعتهم تغلب عليهم حياة البداوة، وانهم لم يألفوا في اول تكوينهم لمجتمع الدولة على حياة المدن، بل كانوا يعيشون حياة فيها ميل للتنقل والتجول طلباً للرزق وانتجاعاً لمواطن الكلأ، فأصول الحياة البدوية متأصلة في اعماق نفوسهم وهذا بالطبع سيؤثر في توجيههم وسلوكهم

---

[٣] تاريخ كزيدة ص٤٣٨.

لسياسة الدولة التي شيدوها، كما سيؤثر في مستقبلها كما رأينا. واعتمدوا في اول تكوينهم على القبائل التركية في الجيش والغزوات وربما ان معظم السلاجقة كانوا غير مثقفين واعتمدوا على العناصر المثقفة خاصة تلك التي كانت في ايران امثال ابي نصر الكندري[٤] ونظام الملك[٥] وغيرهما من الشخصيات الفارسية المثقفة والتي تولت الوزارة والحجابة والكتابة وغيرها من الوظائف السامية في الادارة السلجوقية.

ان طبيعة السلاجقة البدوية صبغتهم بالصبغة العسكرية، فالدولة السلجوقية في اول سني تأسيسها كان طابعها واتجاهها عسكريا محضا وذلك بسبب اصالتها البدوية وتربيتها الخشنة وجوارها لجماعات قوية كثيرا ما تحاول القضاء عليهم واستئصالهم، كما ان كثرة اعدادهم وضيق مراعيهم وقلة مواردهم، كانت عوامل تجعلهم قوة خطيرة اذا اتحدوا وظهر فيهم زعيم قوي قادر على توجيههم.

وتبدو فكرة الوطن عند السلاجقة، فكرة عامة، وبما انهم وقد اعتنقوا الدين الاسلامي الحنيف على وفق المذهب الحنفي، فهم يرون كما ارجح ان العالم الاسلامي هو الوطن، ولكونهم جماعات بدوية في الاصل تنتقل من مكان الى آخر، فانهم يفضلون الاستقرار في المناطق الاكثر خصوبة ذات المياه الوفيرة والخيرات الطيبة. وقد استهدفوا فضلا عن ذلك تكوين دولة

---

[٤] من قرية كندر القريبة من قزوين في ايران ـ راجع المنتظم جـ٨ ص٢٣٩

اللباب: لابن الاثير الجزري

[٥] من قرية: نوقان بالقرب من طوس

ابن خلكان: جـ١ ص١٨٠

تشمل العالم الاسلامي معترف بها من قبل الخليفة العباسي، واضعاف جميع القوى المناهضة لدولتهم.

وظهرت في بداية دخول السلاجقة الى بغداد بادرة اول الخلاف ولعل تلك البادرة ستكون رأساً او اساساً الى ما سنلمس من المشاكل والخلافات بين السلاجقة والعباسيين وقلنا فيما سبق ان الوزير خرج في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود واعيان الدولة لمقابلة السلطان طغرلبك وابلاغه رسالة الخليفة، كما ان الوزير استحلف السلطان طغرلبك للخليفة وللملك الرحيم ولامراء الاجناد. ولكن طغرلبك عندما دخل بغداد القى القبض على الملك الرحيم، وحدثت ايضاً في بغداد حوادث واضطرابات ونهبت بعض المحال العامة، ذلك ادى الى غضب الخليفة واستيائه من الحالة الجديدة، اذ يبدو ان الخليفة كان يتوقع عكس ما حدث وما جرى لذا نراه يكتب الى السلطان طغرلبك رسالة ينكر فيها ما حدث للملك الرحيم واصحابه ونهب بغداد، ويقول الخليفة في رسالته: انهم أي الملك الرحيم واصحابه، انما خرجوا اليك بأمري وأماني فان اطلقتهم والا فأنا افارق بغداد، فاني انما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم[٦] تعظم وأرى الأمر بالضد[٧].

---

[٦] كان الغز يهاجمون المدن ويكثرون النهب والاعتداء، فذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٤٦ الغز هاجموا مدينة الدسكره ونهبوها واعتدوا على النساء بالضرب ــ الكامل جـ٨ ص٦٨.

[٧] ابن الاثير: الكامل جـ٨ ص٧٢

هذه هي البادرة الاولى في بداية الخلاف أو أنها بداية الشك في صدق نية السلاجقة الفاتحين، أقول الفاتحين لأني أرجح أنهم كانوا يعتقدون هذا بدليل أنهم أرسلوا الى الخليفة بعد استيلائهم على كثير من المدن الايرانية رسالة جاء فيها "وشكرا لله على ما افاء علينا من فتح ونصر"[٨] وأنهم وان أظهروا الطاعة والولاء للخليفة العباسي، وانهم جاءوا لانقاذ الخلافة من حكم البويهيين. ومعظمهم في بغداد كانوا ضد السلاجقة وقد قامت اضطرابات شديدة من قبل الشعب تظهر المقاومة[٩] اما الوجه الشرعي للفتح السلجوقي فمتوفر، ذلك لأن استيلاء السلاجقة على المناطق في ايران وبلاد ما وراء النهر كان بالقوة ومن حق الخليفة أن يقلد المستولي ويفوضه تدبيرها وسياستها[١٠]، ويمكن تطبيق ما جاء في الاحكام السلطانية على حالة التنفذ السلجوقي في العراق. ان المستولى عليه حفظ منصب الامامة في خلافة النبوة وتدبير أمور الملة، وظهور الطاعة الدينية التي يزول معها حكم العناد فيه وينتفي بها اثم المباينة له، وكذلك اجتماع الكلمة على الالفة والتناصر ليكون للمسلمين يد على من سواهم[١١] – وبالطبع اننا لو امعنا النظر في المشكلة ذاتها وتفحصنا كلمات رسالة الخليفة، لتلمسنا وجود عقليتين متعاكستين، عقلية السلاجقة، وعقلية

---

(٨) الراوندي: ص١٦٧

(٩) الكامل: حوادث جـ٨، ص٧١.

(١٠) الماوردي: الاحكام السلطانية ص٢٧

(١١) المرجع السابق. ص٢٨

الخلافة، فالخلافة تنظر الى الامور نظرة العهد والشرف والمجاملة، نظـرة الرعاية لحقوق الملك الرحيم البويهي الذي استنجد بالخليفة فأنجده وتعهـد له بالسلامة والنجاة، والامان، انها نظرة الرحمة والشفقة، بينما كانت نظرة السلطان السلجوقي طغرلبك نظرة سياسية عسكرية، وهي سياسة القـضاء على النفوذ البويهي بأشكاله وصوره المختلفة واستئصال كل منافس للنفوذ السلجوقي، انها نظرة العسكري المنتصر، أي تحطيم مراكز العدو والقضاء عليه، وعدم فسح المجال لأي قوة يحتمل أن تكون مصدراً يقلـق التـدابير العسكرية، لذا نرى أن طغرلبك لم يهدأ له قـرار ولـم يـستمع لنـصيحة الخليفة، حتى أمر بالقبض على الملك الرحيم وأرسله أسيراً الى الري فألقى في السجن حتى توفي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[١٢]، ومما لاشـك فيـه، أن البويهيين هم أعداء السلاجقة سياسياً ومذهبياً، فالبويهيون كانوا يقاومون تقدم التوسع السلجوقي في أوائل سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، فقد سـار قائـد كبير من الديلم يدعى (فولاذ) واستولى على فيـروز آبـاد وقطـع خطبـة السلطان طغرلبك في شيراز وخطب للملك الرحيم[١٣]، فالقبض على الملـك الرحيم من قبل السلطان طغرلبك أراه أمراً ضرورياً لتوفير الامـن وابعـاد المشاكل عن الدولة السلجوقية، اذ من الجائز أن يطمح الملك الرحيم الـى استعادة نفوذه وأن تتكرر عملية أخرى كالتي قام بها القائد فولاذ.

---

[١٢] ابن الاثير: حوادث سنة ٤٥٠هـ.

[١٣] ابن الاثير: حوادث سنة ٤٤٧هـ.

كانت الظروف المحيطة بالخليفة العباسي القائم بأمر الله سيئة ومعقدة، فالأخطار تهدد الخلافة وأعظم تلك الاخطار، القائد المتمرد أبو الحارث البساسيري، الذي خرج من بغداد، وتمكن من دخول الموصل بعد انتصاره على أنصار طغرلبك بالقرب من سنجار في شوال من سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[١٤]، وفي الموصل خطب البساسيري للخليفة الفاطمي وكان البساسيري قد بعث كتباً الى مصر يعلن فيها الطاعة والولاء للخليفة الفاطمي وأرسل الخليفة الفاطمي بدوره الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدين دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشد ولمقبل بن بدران، ابن أخي قريش، ولأبي الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبي الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد، وانضاف اليهم قريش بن بدران[١٥]، وهذا بالطبع مما يهدد مركز الخليفة ويجعل من هؤلاء مصدر قلق وأضطراب للدولة العباسية، وهذا ما دفع بالخليفة العباسي أن يلجأ الى طغرلبك ويطلب منه القضاء على حركة البساسيري، فسار طغرلبك الى الموصل وقضى على تلك الحركة وبسط نفوذه على ديار بكر ثم عين أخاه ابراهيم ينال والياً على الموصل والجزيرة، واستقبله الخليفة العباسي استقبالاً رائعاً ولقبه بملك المشرق والمغرب، وقرر له السلطنة على ممالك العراقيين والجبال[١٦].

---

[١٤] المرجع السابق: حوادث سنة ٤٤٨هـ.

[١٥] المرجع السابق: حوادث سنة ٤٤٨هـ.

[١٦] الراوندي: ص١٧٠

هناك خطر آخر كان يهدد الخلافة العباسية ذلك هو خطر الفـــاطميين حكام مصر وقتئذ ونحن نعلم أن الفاطميين كانوا يدعون للمذهب الـــشيعي، بل ان مذهب دولتهم الرسمي هو المذهب الشيعي، وبالطبع فان الفــاطميين كانوا يطمعون بالسيطرة ونشر مذهبهم في العالم الاسلامي عامة، علما أنهم يعتقدون بأحقيتهم في خلافة وامامة المسلمين، فالصراع والتنافس المذهبي كما يبدو لي كان قوياً، ظاهراً وخفياً، بين العباسيين السنيين والفــاطميين الشيعة، أضف الى ذلك أن الخلافة العباسية في عــصر القــائم بــأمر الله العباسي كانت في منتهى الضعف من نواحي كثيرة عــسكرية واقتــصادية وسياسية، وحتى من الناحية الاجتماعية حيث نلمس انقسامات عديدة فـــي المجتمع العباسي كانت تعمل على ضعفه وانهياره، فالمنازعات بين المحال في بغداد كانت شديدة ومستمرة، ففي سنة ٤٤٤هـــ/١٠٥٢م. فـــي ســبيل المثال، جرى بين أهل الكرخ وباب البصرة قتال وفي السنة نفسها وقــت فتنة بين أهل الكرخ والقلائين واحترقــت عــدة دكــاكين[١٧] وفـــي ســنة ٤٤٥هـــ/ ١٠٥٣م، وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من أهــل الــسنة وذهب ضحيتها الكثير من الاهالي[١٨]. وفي سنة ٤٤٦هـــ/١٠٥٤م انقطــع الماء من الفرات على نهر عيسى انقطاعا تلف به ما كان من زرع وتعذرت الطحون وأدرك الناس بذلك ضرر شديد[١٩]، كما وقعت فتنة عظيمة في سنة

---

[١٧] المنتظم: جــ٨ ص١٥٤.

[١٨] ابن الاثير: حوادث سنة ٤٤٥.

[١٩] المنتظم جــ٨ ص١٦٠.

٤٤٧هـ/١٠٥٥م، بين الشافعية والحنابلة في بغداد[٢٠]، حتى ان الشافعية لم يحضروا صلاة الجمعة خوفاً من الحنابلة[٢١]، وأصاب بغداد الكثير من موجات الغلاء في هذه المرحلة لانعدام الزرع وقلة المياه، بينما كانت الدولة الفاطمية في مصر في أوج قوتها وعظمتها، ففي هذا العصر كان يحكم فيها الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر، وفي عهد هذا الخليفة امتدت رقعة الدولة الفاطمية من المحيط الاطلنطي غرباً الى نهر الفرات شرقاً واعترف الصليحي الشيعي بسلطان المستنصر الفاطمي في اليمن سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، كما أقيمت الخطبة للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد نحواً من سنة على يد البساسيري القائد العباسي[٢٢].

هذه ظروف أحاطت بعصر الخليفة القائم العباسي، وفي عهده برزت قوة الدولة السلجوقية التي تدين بالمذهب السني وتلاقت هذه الدولة في مقاومتها للمذهب الشيعي مع آمال وأهداف الخليفة العباسي، كما أن الخليفة العباسي وجد في فتوة وقوة هذه الدولة السلجوقية ما يسند ويدعم الخلافة العباسية، لذا نجد هذا الخليفة لا يستمر في غضبه ضد طغرلبك عندما أمر باعتقال الملك الرحيم واستسلم للأمر الواقع، بل أخذ يتقرب من

---

[٢٠] ابن الاثير حوادث سنة ٤٤٧هـ.

[٢١] المنتظم: جـ٨ ص١٦٣.

[٢٢] ابن الاثير حوادث سنة ٤٥٠هـ.

الصليحي: ــ علي بن محمد بن علي الصليحي رأس الدولة الصليحية في اليمن. كان شافعياً ثم تشيع بتأثير أحد الدعاة الفاطميين المدعوة عامر بن عبد الله الرواحي. توفى سنة ٤٧٣هـ المستنصر هو معد بن علي.

البيت السلجوقي وتزوج من أرسلان خـاتون ابنـة داود أخـي الـسلطان طغرلبك[٢٣].

اذن ان ضعف الخليفة ومركز الخلافة بشكل عام، وقـوة الـسلاجقة الاتراك، عوامل جعلت من الخليفة العباسي شخـصاً ضـعيفاً امـام نفـوذ السلجوقيين فان كان الخليفة العباسي يأمل ان يجد الاستقلال والنفوذ والقوة في استنجاده بالسلاجقة فان ذلك الامل قد خاب، اذ وقع الخليفة تحت وطأة متنفذ جديد له من القوة وعوامل السيطرة ما جعلت الخليفة يفقـد هيبتـه ونفوذه الى امد بعيد، واصبح للسلطان السلجوقي خاصة بعد انتصاره على البساسيري القائد التركي تمام السيطرة على العراق كما اصـبح الخليفـة يمتثل بأمره واطلق يد السلطان في التصرف بكل شيء[٢٤].

وشعر الخليفة العباسية القائم بأمر الله بضعفه وبسيطرة الـسلاجقة، ويبدو لي ان الخليفة كانت تتفاعل في نفسه العواطف من حـب للـسيطرة والظهور والارتقاء وكره لحياته التي يعيشها على مضض واجبار، وما بين الحب والكراهية، يقف العقل ليكبح جماح العواطف الجياشة المفتعلة وحيث يؤمن بالواقع المؤلم المرير والذي عليه ان يتحمله حرصاً على لقب الخلافة لا غير وظل الخليفة العباسي يعيش من اقطاعات مقررة يأخذ دخلهـا[٢٥]،

---

[٢٣] المنتظم جـ ٨ ص١٦٩ ـ ١٧٠.

[٢٤] تاريخ كزيدة ص٤٣٨.

[٢٥] ابن الاثير: تاريخ الدولة الاتابكية ص٩٢.

وانزوى في قصره لا يخرج منه الا مرة في العام وذلك عندما يخرج لصلاة عيد الفطر وليؤم المصلين فيها[٢٦].

يعترضنا سؤال مهم، لماذا لم يقض السلاجقة على الخلافة العباسية؟ الجواب عن هذا السؤال يبدو واضحاً اذ ان السلاجقة كانوا من السنة الحنفية وصاروا يفتحون المدن والبلدان ويتوسعون على حساب الدويلات الضعيفة، وسيطروا على املاك البويهيين في ايران ولما اصبحوا على حدود العراق، ارسل الخليفة القائم رسالة الى السلطان طغرلبك وأمر الخليفة، حامل الرسالة بأن يتقرب من طغرلبك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره[٢٧] ويبدو كما ذكرنا سابقاً أن الخليفة بين في رسالته للسلطان عن سوء الاحوال في بغداد، ومشاكل الخلافة مع البويهيين المتنفذين، كما يرجح أنه طلب مساعدة السلاجقة في تخليص الخلافة العباسية السنية من التحكم الشيعي البويهي، ودخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، وحمى الخليفة العباسي وابعد عنه المخاطر وقضى على جميع مناوئي الخلافة العباسية، وأظهر للخليفة التقدير والاحترام، فمن أمثلة ذلك أن طغرلبك لما وصل بغداد سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، طلب الاذن بمقابلة الخليفة، فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوساً عاماً وحضر وجوه

---

[٢٦] Le Strange: Baghdad during the Abbassid Caliphate p. 332

رحلة بنيامين ص١٣٢ ــ ١٣٣.

[٢٧] السميرية: مفرد سميريات وهي ضرب من السفن الصغيرة التي تعد للنزهة.

عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان في الماء وأصحابه في السميريات[٢٨]، فلما خرج من السميرية أركب فرساً من مراكب الخليفة، فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له، ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك وأعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية. فقبل الارض وأمر بافاضة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأعطى العهد وخرج وأرسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً اتراكاً من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم الى غير ذلك من الثياب وغيرها[٢٩].

هذه صورة الاحترام المتبادل بين الخلافة والسلطنة، والسلطان السلجوقي وهو يعلم ان مهمته لم تنته بعد وانه وخلفاؤه من بعده سيصطدمون حتماً بدول اجنبية غير اسلامية من أجل توسيع رقعة الدولة، كما ان السلاجقة وهم من أشد المنافسين والمعارضين للمذهب الشيعي،

---

(٢٨) راحة الصدور: ص١٦٩.

تاريخ كزيدة ص٣٥٤.

(٢٩) الكامل: حوادث سنة ٤٤٩هـ.

فالمصلحة تقضى ان يبقى الخليفة العباسي بأي صورة كانت والاستفادة من الاعتراف الذي يمنحه الخليفة للسلطان السلجوقي اذ بذلك الاعتراف يحصل على التأييد الشعبي من العالم السني كافة. وبالطبع فان يود السلطان السلجوقي ازاحة الخليفة العباسي، ولكن السلاجقة يدركون انهم اتراك أعاجم، فلا تصح خلافتهم لافتقارهم الى شرط مهم من شروط الخلافة وهو شرط النسب، ولكن يبدو لنا انهم بدأوا محاولة جديدة وهي محاولة المصاهرة وربط البيتين العباسي والسلجوقي عن طريق الزواج، فقد طلب السلطان طغرلبك الزواج من ابنة الخليفة القائم العباسي[٣٠]. وقد حاول الخليفة ان يمانع ويرفض مثل هذا الزواج، ولكن السلطان هدد الخليفة، ولما كان الخليفة يحس بضعفه وعدم قدرته على الاصرار، وافق على ذلك الزواج الذي لم يكتب له النجاح والسعادة، اذ توفي طغرلبك بعد مضى سنة تقريباً[٣١]، أليس من الجائز أن يكون طغرلبك قد فكر بعيداً في نتائج هذا الزواج، واني لارجح ان طغرلبك كان يأمل ان ينجب ولداً من ابنة الخليفة يكون له من شرعية النسب العباسي وقوة ونفوذ السلاجقة ما يوصله الى عرش الخلافة العباسية.

---

[٣٠] ابن الاثير: حوادث سنة ٤٥٤هـ.

ـ آل سلجوق ص١٩

ـ الاصفهاني: زبدة النصرة ص١٩ ـ ٢٢

[٣١] راحة الصدور: ص١٧٨.

ـ زبدة النصرة ص٢٦

وان سؤالاً آخر يتبادر الى ذهن الباحث جدير بالعرض والتعقيب، هو، لماذا لم يعمل السلاجقة على تقوية مركز الخلافة العباسية؟ قلنا ان السلاجقة كانوا قوماً فاتحين يريدون السيطرة والنفوذ وبناء دولة كبيرة، وبالطبع انهم يسعون الى اضعاف جميع القوى المحيطة بهم، وانهم وان كانوا من السنة ويعطفون على الخليفة العباسي، الا انهم لا يرفضون التنازل عن نفوذهم وامتيازاتهم، وانهم انما ارادوا الابقاء على الخلافة مظهراً دينياً يكسبون به عطف الجماهير الاسلامية، فالسياسة التي اتبعها السلاجقة في أوائل حكمهم، هي سياسة على ما أرى كانت سليمة وحكيمة، انهم طلاب سيطرة ونفوذ، فليس من المعقول ان يتنازلوا عن جميع امتيازاتهم ونفوذهم للخليفة العباسي، وانهم وقد بلغوا تلك السيطرة والسعة والقوة بعد جهود مضنية وتضحيات كبيرة، ولم يكن من اهدافهم في وحدتهم وفتوحاتهم انقاذ الخلافة العباسية والتنازل لها عن كل ما امتلكوه وسيطروا عليه على العكس انهم لولا الشعور الاسلامي العام لقضوا على الخلافة وسيطروا عليها. ولم ترد اشارة لمحاولة بدرت من احد السلاطين السلاجقة الى فعل ذلك بل الذي لمسناه، ان السلاجقة عملوا على جعل الخليفة العباسي تابعاً لهم لا حول ولا قوة، وأصبح الخليفة من الضعف الى حد كان يخشى وزراء السلاجقة ويأتمر بأوامرهم، ومن امثلة ذلك ان الخليفة المقتدى بأمر الله عزل أبا نصر بن جهير من الوزارة بناء على طلب الوزير السلجوقي نظام الملك[٣٢]، والاعجب من ذلك انه بعد مدة

---

[٣٢] المنتظم: جـ٨ ص٣١٨.
ابن الاثير: حوادث سنة ٤٧١هـ.
الفخري: ص٢١٨

قصيرة، وردت رسالة من الوزير نظام الملك الى الخليفة المقتدى يطلب فيها اعادة الوزير السابق الى وظيفته بوصفه وزيراً، فأعيد[٣٣].

وسنرى ان التدخل في شؤون الخلافة والعمل على اضعافها واضاعة هيبتها، يأخذ شكل سافر منذ سنة ٤٨٥هـ، ففي هذه السنة على ما يبدو حصلت جفوة بين السلطان ملكشاه والخليفة المقتدي بأمر الله العباسي، وبعث ملكشاه الى الخليفة يقول: لابد ان تترك لي بغداد وتنصرف الى أي البلاد شئت، فانزعج الخليفة من هذا انزعاجاً شديداً[٣٤]، وبدأت امارات الضعف على الخليفة وراح يتوسل الى السلطان ملتمساً منه ان يمهله شهراً، ولكن السلطان كان شديداً حيث أجابه: لا يمكن ان تؤخر ساعة، ثم التجأ الخليفة الى وزير السلطان، وطلب منه ان يسأل سلطانه بتأجيل موعد خروجه من بغداد عشرة أيام، ليتسنى له الاستعداد للانتقال[٣٥]، ولكن وفاة السلطان المفاجئة غيرت الموقف، وانقذت الخليفة من مصيبته حيث توفي هذا السلطان في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢[٣٦]،

---

[٣٣] المنتظم: جـ٨ ص٣١٩

ابن الاثير: حوادث سنة ٤٧١هـ.

[٣٤] الفخري: ص٢١٧

المنتظم: جـ٩ ص٦٢

[٣٥] دولة آل سلجوق: ص٦٥.

المنتظم: جـ٩ ص٦٢.

[٣٦] راحة الصدور: ص٢١٠.

آل سلجوق: ص٧٥.

المنتظم: جـ٩ ص٦٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٤٨٥ .

اخبار الدولة السلجوقية: ص٧١.

ومن ثم مات الخليفة المقتدي بأمر الله فجأة[٣٧]، ومن الجائز ان المقتدي بأمر الله مات مسموما، فقد قيل ان جاريته شمس النهار سمته[٣٨]. وبويع لولده المستظهر بالله وله من العمر ست عشرة سنة وقد عاصر هذا الخليفة حوادث خطيرة في تاريخ السلاجقة كما كان يتأرجح في تيارات الانقسامات السياسية ففي سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٨م قوي أمر السلطان محمد بن ملكشاه، وقدم بغداد سعد الدولة كوهرائين وطلب من الخليفة ان يخطب لمحمد، وكانت الخطبة لبركيارق فواق الخليفة على هذا المطلب وكان من قبل قد فوافق بالخطبة لتتش بعد انتصاره على بركيارق[٣٩] وفي سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م اعيدت الخطبة للسلطان بركيارق، ثم أعيدت الخطبة في السنة نفسها لمحمد. ثم دخل بركيارق بغداد سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م، فأعيدت الخطبة له وفي السنة نفسها دخل محمد بغداد، ورحل عنها بركيارق فخطب لمحمد، وقامت عدة حروب بين بركيارق ومحمد[٤٠]، أدت الى اضعاف المعسكرين المتخاصمين، والخليفة العباسي كان موقفه موقف المتفرج ولم يحاول التدخل في تلك الخصومات أو الاستفادة من تلك الظروف، والعمل على التخلص من نفوذ السلاجقة.

ومات بركيارق سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م وكان قد مرض بأصبهان بالسل والبواسير، فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد. ضعف عن الحركة ولما اشتد عليه المرض، خلع على ولده ملكشاه، ودفن

---

[٣٧] المنتظم: جـ٩ ص٨١.

ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٧هـ.

[٣٨] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٢٣.

[٣٩] ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٢هـ.

[٤٠] ابن الأثير [illegible]

بأصبهان[41] واستمرت الاحوال مضطربة والدولة تشكو الانقسام والتجزؤ. فالاجزاء الشرقية من الدولة كانت تخضع لحكم سنجر بينما تخضع الاجزاء الشمالية لسيطرة أخيه محمد وبلاد الشام في قبضة أبناء تتش، وكانت آسيا الصغرى تحت حكم أبناء سليمان بن قتلمش، فضلاً عن سيطرة ولاة الاقاليم بعضهم على أقاليم بعضهم الآخر. واستفحل أمر الباطنية واشتدت الحروب الصليبية واحتل الصليبيون أجزاء مهمة وكبيرة في فلسطين، فقد انتزعوا انطاكية من أيدي السلاجقة في عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م[42]، كما استولوا على معرة النعمان[43]، وقد حاول كربوقا أمير الموصل ان ينقذ مدينة انطاكية ولكنه لم يتمكن من ذلك حيث انهزم جيشه وخاب في مسعاه[44] واستمر النزاع بين السلاجقة على العرش ولكن الخليفة المستظهر العباسي لم يحاول ان يستغل الفرص لاسترداد هيبة الخلافة والعمل على اطاحة النفوذ السلجوقي، ومات المستظهر سنة ٥١٢هـ/١١٨م، وبويع لولده

---

(٤١) المنتظم: جـ٨ ص١٤١ ــ ١٤٤.
ابن الاثير: حوادث ص٤٩٨

(٤٢) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩١هـ.
ابو الفداء: جـ ٢ص٢٢٠
ابن خلدون: التاريخ جـ٥ ص٢٠

(٤٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩١هـ.

(٤٤) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩٥هـ.
ابو الفداء: جـ ٢ص٢٢١.

المسترشد بالله بن المنصور وكان رجلاً فاضلاً[٤٥]، وذا همة عالية وشهامة زائدة واقدام ورأي وهيبة شديدة، ضط امـور الخلافـة ورتبهـا أحـسن ترتيب[٤٦].

ويمكننا القول ان الكفاح من أجل استرداد هيبة الخلافة والعمل علـى التخلص من الحكم السلجوقي بدأ في عهد المسترشد بالله الخليفة العباسي، ويبدو لنا ان استمرار الاضطرابات وشدة التدخل الـسلجوقي فـي خلافـة العباسيين وضياع هيبة الخلافة، من سوء تصرف السلاطين السلاجقة كانت عوامل أساسية في ان تحفز هذا الخليفة وتبعث فيه روح الثورة ضد تلـك الاحوال والعمل على استرداد الحقوق المسلوبة مـن الخلافـة التـي مـن مقوماتـها، القوة والاستقلال والسيادة، وكانت الانقسامات التي ابتليت بهـا السلطنة السلجوقية والمنازعات الشديدة المستمرة بين السلاطين والامراء والسلاجقة من العوامل المشجعة للخليفة الجديد، ونلمس من حياتـه فـي الخلافة انه رجل مرهف الحس مدرك للظروف وانه على جانب من الفطنة والشجاعة والذكاء، أقول انه مرهف الحس، لانه كما أعتقد أحـس بـالظلم والآلام الشديدة التي يعانيها الشعب الاسلامي من الحكم المضطرب القلـق المستبد، وأحس بانحراف السلاجقة عن مقاصدهم الحسنة ان كانت لهم تلك المقاصد حين فوض العباسيون امورهم الى السلاجقة، ومن مـأثور قـول الخليفة المسترشد بالله، قوله: "فوضنا امورنا الى آل سلجوق، فبغوا علينا،

---

[٤٥] الفخري: ص ٢٢١

[٤٦] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٥٣١.

فطال عليهم الامد، فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون[٤٧]، ان هذا النص دليل قوي على تفهم عميق وادراك بالغ لما وصلت اليه الامور من التحكم الاستبدادي والظلم والفساد.

ويبدو كذلك ان الخليفة المسترشد بالله العباسي، حريص كل الحرص على ابعاد كل خطر عن الخلافة والقضاء على كل حالة جديدة تسبب اضعافها أو الى احداث المخاطر لها، ففي أول يوم يبايع فيه المسترشد بالخلافة تسلل أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن، وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة[٤٨]، فلما علم الخليفة الجديد بخبر اخيه، اتخذ موقفاً حازماً ضده خشية ان يتفاقم أمره ويسعى الى اثارة الفتن فأرسل الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبي، الى الحلة وأمره ان يأخذ البيعة من دبيس ويطلب منه أن يسلم اليه الامير أبا الحسن، والظاهر ان دبيس بن صدقة طلب الامان للامير أبي الحسن من الخليفة وابقاه عنده الا أن الامير أبا الحسن خرج على حقوق الجوار وطمع بأملاك الخليفة فغضب عليه دبيس وأرسل اليه من يتعقبه في أراضي واسط حتى تمكن أنصار دبيس من القبض عليه وتسليمه اليه وسلمه دبيس بدوره الى الخليفة المسترشد وعاش الامير أبو الحسن بقية حياته محجوزاً في

---

(٤٧) النظامي العروض السمرقندي: جهار مقالة ص٣١ ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب.

(٤٨) المنتظم: جـ٩ ص١٩٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥١٢.

الفخري: ٢٢١-٢٢٢.

احدى دور الخليفة يعيش عيشة جميلة(٤٩) الا ان ابن الجوزي يذكر انه قتل في الحبس(٥٠). المهم في الحادثة ان الخليفة كان حذراً وشديد الانتباه ويأخذ لكل حالة الاستعداد والتدبير، وعرف عن المسترشد انه كان شديد التمسك بأهداب الدين واصوله وحربا على المنكرات وملاحقاً دور الخمر والسعي الى نشر العدل والامن في ربوع بلاده، وهناك الكثير من الاخبار التي ذكرها المؤرخون ما يفيد الى ملاحقة الخليفة لحانات الخمر ففي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م تقدم باراقة الخمور التي بسوق السلطان ونقض بيوتهم(٥١)، ان موقف الخليفة هذا، من الخمر بالطبع دافعه الرئيس دينياً، وأرجح ان الخليفة كان يقصد من اراقة خمور الحانات وتهديمها غرضاً اجتماعياً آخر، ذلك هو محاولة ابعاد الناس عن هذا المخدر الذي يسمم الافكار ويضعف الاجسام، فالخمرة على ما يبدو كانت منتشرة انتشاراً كبيراً الى حد جعلت الناس معظمهم يرتادون دورها ويحتسونها ليلاً ونهاراً وبذلك ضعفت القابليات كما ضعف العامل الديني، والخليفة على ما اعتقد كان يريد ان يبعث في الناس روحاً تدفعهم الى التخلص من ربقة السيطرة السلجوقية وتنشلهم من حالتهم السيئة، ولكي تكون افكاره وتوجيهاته مسموعة ومقبولة، بل وذات أثر فلا بد من تحطيم عوامل الشر ومظاهر الفسق

---

(٤٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٥١٣هـ.

الفخري: ص٢٢٢.

(٥٠) المنتظم: جـ٩ ص٢٠٥.

(٥١) المنتظم: جـ٩ ص٢١٨.

والفجور، ويساعده على ذلك ان الدين الاسلامي يحارب الخمرة وشاربيها، لذا نرى هذا الخليفة الذي تتمثل فيه الروح الدينية قوية وشديدة، يندفع بحماس الى محاربة هذه الامكنة، ونال رضا الفقهاء ورجال الدين والذين يعطفون على صيانة المجتمع الاسلامي من الفساد.

كما ان الخليفة المسترشد بالله أراد التخلص من كل خطر يهدد كيان الخلافة، ومن مصادر القلق والخطر في الدولة، دبيس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الازدي صاحب الحلة، وكان كثيراً ما يثير القلاقل للدولة العباسية، كما كان مصدراً للفتنة، وفي سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م أثار دبيس بن صدقة فتنة جديدة فأنه اطلق عفيفاً خادم الخليفة وكان مأسوراً عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة، فاغتاظ الخليفة وغضب وجهز الجيوش وقام لحرب دبيس وانتهت بانتصار الخليفة وهروب دبيس الى الملك طغرل بن السلطان محمد[٥٢].

وأخذ الخليفة المسترشد يستعد لطوارىء الحرب التي قد تقع بينه وبين السلاجقة، وبدأ ببناء السور[٥٣]، سور بغداد الشرقية، الذي يعدّ من الاعمال الجليلة للخليفة المسترشد وسيحمي هذا السور مدينة بغداد من الغارات والاعتداءات.

---

[٥٢] المنتظم: جـ٩ ص٢٤١ ـ ٢٤٣.
ابن الأثير: حوادث سنة ٥١٧هـ.

[٥٣] المنتظم: جـ٩ ص٢٤٣.
ابن الأثير: حوادث سنة ٥١٧هـ.

ووجد الخليفة المسترشد ما عليه الملوك السلاجقة مـن الخلافـات فاستغل الفرصة، فقد كان طغرل الملك مناوئاً للسلطان محمود وكـان هـذا الاخير يطمع بالسلطنة ويستأثر بها دون سنجر، وقد حاول الملـك طغـرل بمعاونة دبيس بن صدقة السيطرة على بغداد فوقف الخليفة موقفاً مـشرفاً وسيطر على الموقف وتمكن من احداث الهزيمة بدبيس، وأصـيب الملـك طغرل بمرض أقعده عن التنفيذ(٥٤) وخرج السلطان محمود وكاتب الخليفـة وتعاهد معه متفقاً واياه على سنجر(٥٥) ولكن سنجر على ما يبدو قد أحـس بنية الخليفة، فأخذ يحذر السلطان (محمود) من نيات الخليفـة المـسترشد، وقال له: انت يميني والخليفة قد عزم على ان يمكر بي وبك فـاذا اتفقتمـا على، فرغ مني وعاد اليك فلا تلتفت اليه(٥٦)، وفـي هـذه الاثنـاء خـرج "برنقش" شحنة بغداد الى السلطان محمود يشكو من الخليفة واوغر صـدر السلطان عليه وخوفه، ان الخليفة يستعد لحربه والتخلص منـه، فتوجـه السلطان محمود سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م نحو بغـداد، فأحس الخليفة بعـزم السلطان فجمع العساكر واستعد لمقابلته وأصاب بغـداد الـضيق والغـلاء الشديدين، ودارت مناوشات بين الجانبين انتهت بالمصالحة ورجع السلطان محمود عن بغداد(٥٧).

---

(٥٤) المنتظم: جـ٩ ص٢٥٢ ـ ٥٥٣.

(٥٥) المرجع السابق: جـ٩ ص٢٥٤.

(٥٦) المرجع السابق: جـ٩ ص٢٥٤.

(٥٧) راحة الصدور: ص٣٠٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٠هـ.

توفي السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ/١١٣١[٥٨]، واستمر الخصام بين السلاجقة طمعاً في السلطة والنفوذ، وتمكن السلطان مسعود من ان يجعل السلطنة مستقرة له في العراق[٥٩]، ثم وقعت الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر، وحاول عماد الدين زنكي وحليفه دبيس ابن صدقة، احتلال بغداد، فوقف الخليفة موقفاً حازماً،، وصد تلك المحاولة بشدة ويقظة وأوقع هزيمة بجيش دبيس، كما تفرقت جماعة عماد الدين زنكي الذي ولي منهزماً[٦٠]. وجرت حرب بين السلطان طغرل والملك داود فانهزم الاخير ولجأ الى الخليفة المسترشد فانزله الخليفة دار السلطان واكرمه[٦١] ودخل السلطان مسعود بغداد وخطب له فيها وخلع عليه[٦٢] وفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م هاجم الخليفة المسترشد بالله مدينة الموصل ليثأر من

---

[٥٨] راحة الصدور: ص٣٠٠.

المنتظم: جـ١٠ ص٢٠.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٠هـ.

[٥٩] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٦هـ.

[٦٠] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٦هـ.

المنتظم: جـ ١٠ ص٢٦.

[٦١] ابن الاثير: حوادث ٥٢٦هـ.

[٦٢] المنتظم: جـ١٠ ص٢٩.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٧هـ.

راحة الصدور: ص٣٢٩.

زنكي على ما فعل ببغداد حين هجم عليها مع حليفه دبيس ابن صدقة وحاصرها الخليفة ثلاثة اشهر، توجه بعدها الى بغداد[٦٣].

نلاحظ لاول مرة بعد مدة خمود طويلة، خروج خليفة عباسي على رأس جيش خارج دار ملكه ليحارب مناوئيه وان دل هذا على شيء فانما يدل على استعادة الخلافة لبعض حيوتها ونشاطها.

وفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، حدثت جفوة بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد بالله، واشتدت تلك الجفوة بينهما الى درجة ان سار الخليفة على رأس جيش كبير لمحاربة مسعود، وكان في جيش الخليفة الكثير من السلاجقة الامراء الذين شجعوا الخليفة على القيام بحملة حربية ضد مسعود وقد تسلم الخليفة الكثير من المكاتبات من أصحاب الاطراف، يبذلون فيها الطاعة والمساندة في حربه للسلطان مسعود، ولكن مسعوداً بدهائه تمكن من استصلاح الكثير من اولئك الامراء الخارجين عليه كما نجح في أن يجعلهم من أعوانه، ولم يبق مع الخليفة المسترشد بالله الا عدد قليل من الجيش بلغت عدته خمسة آلاف مقاتل[٦٤]. وتقابل جيش الخليفة مع جيش مسعود في "دايمرج"[٦٥]، ونلمس من تلك الوقعة ضعف الجيش الخليفي ومظاهر الخيانة والغدر، فان ميسرة الخليفة انضمت الى جيش

---

(٦٣) ابن الاثير: حوادث سنة٥٢٧هـ.

المنتظم: جـ١٠ ص٣٠.

(٦٤) المنتظم: جـ ص٤٤ ــ ٥٠

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ

(٦٥) دايمرج: موقع ماء بالقرب من همدان.

مسعود وقاتلت الميمنة قتالاً ضعيفاً ولكن الخليفة المسترشد جد في تلك المعركة، وانهزم معظم عسكره ووقع المسترشد بالله أسيراً بأيدي الاعداء[٦٦]، وأمر مسعود بنصب خيمة للخليفة وان تدق له طبول النوبة، وان ينزلوه في احترام ووقار ويرتبوا له جميع وسائل المطبخ والمشرب[٦٧]، وفي السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، هجم على خيمة الخليفة المسترشد بالله العباسي، جماعة من الباطنية فقتلوا الخليفة ومن معه[٦٨]، وبويع لولده، ابي جعفر المنصور الذي لقب "الراشد"، بالخلافة[٦٩]، وهكذا سقط المسترشد بالله شهيداً كونه أول خليفة عباسي، يجاهد من أجل استقلال الخلافة واعادة هيبتها، وكان المسترشد خير مثل

---

(٦٦) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.
المنتظم: جـ١٠ ص٤٥.
السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٣٢.

(٦٧) راحة الصدور: ص٣٣٠. النوبة: الفرصة أو الدولة (تاج العروس).

(٦٨) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.
العماد الاصفهاني: زبدة النصرة ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٦٩) الراوندي: ص٢٣١.
المنتظم: جـ١٠ ص٥٠.
ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.
ابن العبري: ص٣٥٦ ـ ٣٥٧.
الفخري: ص٢٢٣.
السمرقندي: جهار مقالة ص١٠٧.
الديار بكري: تاريخ الخميس جـ٢ ص٢٦٢.

احتذى به الخلفاء الذين ساروا على نهجه في مقاومة السلاجقة واضعاف نفوذهم.

تولى الخلافة بعد المسترشد، ولده الراشد بالله سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[٧٠]، ومنذ ان تولى الراشد بالله وهو يحمل للسلاجقة العداء ويسعى الى الثأر، من الذين فتكوا بوالده كما أخذ يعمل على تكوين حلف قوي يواجه به السلطان مسعود الذي أصبح له نفوذ عظيم بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله، وكانت الشرارة التي أدت الى احتكاك الخليفة الراشد بالله مع السلطان مسعود السلجوقي، ان الاخير أرسل برنقش الزكوي ليطالب الخليفة مبلغاً كبيراً من المال، مقداره اربع مئة ألف دينار[٧١]، فامتنع الخليفة عن اداء مثل ذلك المبلغ، ووقف موقفاً حازماً، ازاء ما عزم عليه رسول السلطان في التهجم على دار الخلافة وتفتيشها[٧٢]، واتصل الخليفة بالملك داود وتعاهد معه على حرب السلطان مسعود واتفقا مع عماد الدين زنكي صاحب الموصل على الغرض نفسه، وانضم الى حلفهم اطراف كثيرون، وقطعت خطبة مسعود في العراق وخطب لداود[٧٣]، واتجه مسعود نحو بغداد، فحدث اضطراب في بغداد، ولما وصل

---

[٧٠] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.

[٧١] المنتظم: جـ١٠ ص٥٤ ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

ـ ابن العبري: ص٢٠٥.

[٧٢] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

[٧٣] المنتظم: جـ١٠ ص٥٥.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

مسعود الى أطراف بغداد قام بحصارها، فثار العيارون في المدينة، وأحدثوا فيها الفوضى والمتاعب الكثيرة وافسدوا الامر على الخليفة وتنظيماته، وأخذ بعض الامراء المحالفين للخليفة بالتفرق، مما اضطر الخليفة الى مغادرة بغداد صحبة عماد الدين زنكي الى الموصل، تاركاً بغداد للسلطان مسعود، وانهزم داود الى بلاده[٧٤]، وكعادة كل فاتح غريب عن اهل البلد اخذ مسعود في تلطيف الجو السياسي ببغداد الغاضبة، فأظهر العدل، والتقرب من الفقهاء والعلماء ووجهاء البلد، ولجأ الى لعبة جديدة، أراد بها أن يشوه سمعة الخليفة الراشد اولاً ومن ثم استبداله بخليفة آخر يكون طواعية له، فجمع العلماء والفقهاء والقضاة والشهود والاعيان، واخرج السلطان كتابا ادعى ان الخليفة الراشد خطه بيده معترفاً فيه "انني متى جندت او خرجت فقد خلعت نفسي من الامر"[٧٥]، ويذكر ابن الجوزي: ان الوزير علي بن طراد احكم النوبة واحضر الفقهاء والقضاة وخوفهم وهددهم ان لم يخلعوا الخليفة الراشد[٧٦]، وكتب الحاضرون محضراً شهدوا بظلم الخليفة الراشد ونهبه الاموال وسفكه الدماء وشربه الخمر[٧٧].

---

[٧٤] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

[٧٥] المنتظم: جـ١٠ ص٦٠ ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٥هـ.

[٧٦] المنتظم: جـ١٠ ص٦٠.

[٧٧] المنتظم: جـ١٠ ص٦٠.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

وحكم قاضي بغداد ابن الكرجي بخلع الخليفة الراشد بالله، فقطعت خطبته وبويع بالخلافة محمد بن المستظهر ولقب "المقتفي لامر الله"[٧٨].

هرب الراشد بالله مع عماد الدين زنكي الى الموصل ومن هناك سار الى اذربيجان، ثم الى مراغة فاجتمع فيها الملك داود الامير "منكوبرس" صاحب فارس وبعض الامراء الآخرين واتفقوا على حرب مسعود، فلما أحَسّ السلطان مسعود بتجمعهم ونشاطهم فسار لقتالهم وتمكن جيش الخليفة وحلفاؤه من الحاق هزيمة منكرة بالسلطان مسعود، واتجه جيش مسعود الى اذربيجان بينما قصد الملك داود همدان وكانت الهزيمة قد الحقت بجيش مسعود وداود، وهذا من اعجب الاتفاق كما يقول ابن الاثير[٧٩]، وبقي الخليفة وحده في جماعة من العساكر العجم فاتجه الى اصفهان، وفي الخامس والعشرين من رمضان سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، وثب عليه نفر من الخراسانيين من الذين كانوا في خدمته فقتلوه، ويعتقد ان الجوزي ان الذين اغتالوا الراشد كانوا من الباطنية[٨٠].

ان مقتل الراشد بالله كان له اثر كبير في نفوس المسلمين عامة والعراقيين خاصة وان استشهاده من أجل تثبيت دعائم الخلافة العباسية،

---

[٧٨] راحة الصدور: ص٣٣٢ ـ المنتظم: جـ١٠ ص٦٠ ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ. ـ الفخري: ص٢٢٧ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٣٦ ـ ابن العبري: ص٢٠٥

[٧٩] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٢هـ.

[٨٠] المنتظم: جـ١٠ ص٧٢ ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٢هـ.
السيوطي: تاريخ اللخلفاء ص٤٣٦ ـ ٤٣٧.
الفخري: ص٢٢٧.

حفز النفوس وايقظها، بل وألهب الحماس الوطني والديني في صدور الخلفاء والامراء والعامة، وسنرى لهذا النزاع الذي نشب بين السلاجقة والخلافة تأثيره الكبير في دعم الخلافة وتقويتها وفي اضعاف السلاجقة وانهيارهم.

وذكرنا ان السلاجقة نصبوا المقتفى خليفة في بغداد، ولم يكن المقتفي الا نموذجاً حياً للتفكير السليم في انتهاج سياسة عظيمة وفي اتخاذ الخطوات الناجحة والتدابير المحكمة من أجل تخليص الخلافة من حكم السلاجقة، والعمل على استغلال الفرص من أجل الايقاع بالسلاجقة، وصار يرقب المنازعات والمخاصمات التي استعرت بين أمراء السلاجقة وأدت الى اضعافهم واضمحلالهم ففي سنة ٥٣٢هـ/١١٢٧م، وقعت الحرب مجددا بين الملك داود والسلطان مسعود[٨١]، كما انهزم السلطان سنجر امام الاتراك الخطا سنة ٥٣٦هـ/١١٣١م[٨٢] "والخطا" قبائل تركية كانت تسكن شمالي ايران وتمكنت من تأسيس دولة في عام ٥١٨هـ/١١٢٤م، واتخذت مدينة (بلاساغون) عاصمة لها، وكان يطلق على ملوكها " كورخان"[٨٣]، وفي هذه السنة اعني سنة ٥٣٦هـ التي انهزم فيها سنجر وقعت زوجته اسيرة في أيدي الخطا[٨٤]، وكان لهذه الحرب اثرها الكبير في اضعاف نفوذ سنجر وانهياره، كما اتفق صاحب فارس (بوزابة) والامير "عباس"، أمير

---

[٨١] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٢هـ.

[٨٢] المنتظم: جـ١٠ ص٩٦.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٦هـ.

[٨٣] راحة الصدور: ص٢٦٢ الحاشية.

[٨٤] المنتظم: جـ١٠ ص٩٦ ـ ٩٧.

راحة الصدور: ص٢٦٤.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٦هـ.

الري ومعهما الملك محمد بن السلطان محمود والملك سليمان شاه بن السلطان محمد، اتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود[٨٥]، وهذا الاتفاق أو التمرد على السلطان وان لم يؤد الى نزاع كبير الا انه مظهر من مظاهر الفوضى والقلق وصورة من عدم الوحدة والانسجام في الدولة السلجوقية ودليل واضح على النيات التي يبيتها الامراء أعمدة الدولة السلجوقية لسلطانهم الذي يطمعون في املاكه.

كان الخليفة المتقفي لامر الله العباسي، يرقب الحوادث، ويرى بأم عينيه الانهيار الذي يصيب السلاجقة اعداء الخلافة العباسية والسلاجقة هم الذين نصبوا المقتفي لامر الله خليفة، وما دروا انه من الدهاء والعقل ما ستكون نهاية نفوذهم في العراق على يديه، والخليفة المقتفي لامر الله، كان قد حمل فكرة سيئة عن حكم السلاجقة وسياستهم تجاهه، فهم الذين جردوه من كل ما يملك من الخيول والممتلكات، كي يكون تحت رحمتهم وأسيراً عندهم[٨٦]، ولكن الخليفة وقف موقفاً حازماً امام مطلب السلطان عندما اراد منه ان يمده بمئة ألف دينار، فبعث المقتفي الى السلطان: ــ ما رأينا أعجب من امرك، أنت تعلم ان المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ما جرى وان الراشد ولى ففعل ما فعل، ورحل وأخذ ما تبقى ولم يبق الا الاثاث فأخذته كله، وتصرفت في دار الضرب وأخذت الزكاة، ففي أي وجه نقيم لك هذا المال، وما تبقى الا ان نخرج من الدار ونسلمها، فاني عاهدت الله ان

---

[٨٥] راحة الصدور: ص٣٣٧ ــ ٣٣٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٦هــ.

[٨٦] المنتظم: جـ١٠ ص٦٦.

السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٣٧.

لا آخذ حبة ظلماً[٨٧]، وكانت سياسة مسعود، سياسة الضغط الشديد على الناس من اجل جمع الاموال، ومن أعمله المجحفة، والتي استاء منها الناس، وضعه مكس البيع الذي كان أثره الكبير في انهيار سمعة مسعود في العراق، وان كان هذا قد أزال هذا المكس سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م الا ان الناس في بغداد ضجوا من غلاء الاسعار وفقدان العدل وانعدام النظام، وتولى الامور رجال عرفوا بعدم النزاهة والاخلاص، ففي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م بلغ الكر الشعير اربعين ديناراً والحنطة ثمانين ديناراً، ولكن الشحنة نادى في الاسواق والدروب ان لا تباع "الكارة" الدقيق الا بدينار فأدى هذا الاجراء الذي يبدو ارتجالياً الى غلق الدكاكين وانعدام الخبز عن الاسواق أربعة أيام واستمر شهراً حتى عادت الاسعار تتراخى[٨٨].

كل هذا يحدث وهو من علائم الانهيار والاستياء العام، والخليفة المقتفي لامر الله كان يعمل بفكره السليم ويدبر للامور تدبيرها المحكم، فأخذ في تقوية مركز الخلافة وعمل على تقوية الجيش الذي كان يرعاه ويستعرضه في كل مناسبة، وأمر بحفر الخنادق ببغداد، كما نادى بأن يلبس العوام السلاح، أي أن يستعدوا للطوارىء ويكونوا قادرين على دفع العدوان عن أنفسهم وأموالهم[٨٩]، كما أمر باصلاح السور، ذلك ان السور حدثت به

---

[٨٧] المنتظم: جـ١٠ ص٦٦.

[٨٨] المنتظم: جـ١٠ ص١٢٥.

[٨٩] المنتظم: جـ١٠ ص١٣٣.

ثلم وخرج العوام بالآلات فعمروه وحفروا خندقاً[٩٠]، هذا جانب من الاستعدادات وصورة من تجاوب العامة في بغداد وتعاونهم مع خليفتهم الذي لمسوا فيه الاخلاص والهمة من أجل انقاذ خلافتهم من حكم السيطرة السلجوقية.

واصبح السلطان مسعود في سنيه الاخيرة ضعيفاً فقد انهكته الحروب والمنازعات كما اصاب سنجر العجز والانهيار أيضاً، وبدأ الخليفة المقتفي في القوة والمنعة[٩١]، وفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩، اجتمع خلق كبير من التركمان مع ملكشاه بن محمود وطرنطاي وعلي بن دبيس واتجهوا نحو بغداد، ولما أصبحوا على بعد ثلاثة فراسخ عنها، بعثوا الى الخليفة يطلبون الخطبة لملكشاه ولم يجبهم[٩٢]، وأراد ان يلعب لعبة بارعة، ان يبعث للسلطان مسعود يعلمه ان هؤلاء انما جاؤا يطلبون الخطبة التي هي له وحده، وذلك ليتلاحم السلاجقة فيما بينهم وهذا بالطبع سيؤدي الى اضعاف جبهتهم، علماً ان الخليفة اتخذ جميع الاستعدادات والاحتياطات لمواجهة الاعداء. وفعلاً قدم (مسعود) الى العراق وما ان سمع الاتراك بقدومه حتى وأصابهم هلع وفزع وهرب طرنطاي الى النعمانية والقى "علي ابن دبيس" بين يدي السلطان يطلب العفو[٩٣]، وانتهى الامر ورجع السلطان الى

---

[٩٠] المنتظم: جـ١٠ ص١٣٣.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٣هـ.

[٩١] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٣٨.

[٩٢] المنتظم: جـ١٠ ص١٣٧ ـ ١٣٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٤هـ.

[٩٣] المنتظم: جـ١٠ ص١٣٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٤هـ.

همذان[٩٤]. وفي هذه المرحلة، نلمس بوضوح قوة ونفوذ الخليفة، وقبيل وفاة السلطان مسعود السلجوقي، بدأ الخليفة يستعيد الامتيازات التي فقدها الخلفاء العباسيون بحكم انصياعهم وضعفهم، ومن مظاهر ذلك انه في المحرم في سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م، جلس يوسف الدمشقي مدرساً للنظامية ببغداد وكان جلوسه بغير أمر الخليفة، فمنع يوم الجمعة من دخول الجامع وصلى في جامع السلطان، ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ أبي النجيب السهروردي بأن يدرس فيها فأمتنع بغير أمر الخلافة فاستخرج السلطان اذن الخليفة في ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة نفسها[٩٥]، هذا الخبر يدل دلالة واضحة على التحول الكبير في حياة الخلافة ونفوذها، فبعد ان كان السلطان هو المتصرف في كل شيء، في تعيين الوزراء والمدرسين والقضاة وغيرهم من الموظفين والمستخدمين، أصبح الخليفة المقتفي يملي ارادته على السلطان لهذا أثره الكبير في نفوس الشعب ويبعث فيهم الروح المعنوية القوية ويعيد اليهم الثقة بامكانياتهم، ولا يفوتنا اثر التعاون الذي بدا واضحاً من معظم الفقهاء والعامة مع الخليفة العباسي، فموقف ابي النجيب السهروردي وامتناعه عن التدريس دون اذن الخليفة دعم لارادة الخليفة وتقوية للرغبات المخلصة التي ابداها المقتفي لامر الله.

---

[٩٤] راحة الصدور: ص٣٥١.

[٩٥] المنتظم: جـ١٠ ص١٤٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٥هـ.

السبكي: طبقات الشافعية جـ٤ ص٢٥٦.

ابن خلكان: جـ٢ ص٣٧٣.

وفي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م توفي السلطان مسعود في همدان وكـان قد مرض بالحمى[٩٦] وبوفاته فقدت الدولة السلجوقية ركناً كبيـراً وأخـذت هذه الدولة تتداعى، وتموج في خضم من المنازعات والفتن وقوى جانـب الخليفة وأصبح هو السيد المطاع في دولته، وله الكلمـة النافـذة، وزادت هيبته وعلت كلمته، وكان الخليفة قد استوزر شخصية قوية عرفت بـالعلم والادب والحكمة وبعد النظر، تلك هي شخصية ابن هبيـرة، عـون الـدين وابتدأت وزادته للخليفة المقتفي لامر الله سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وقام هذا بواجباته أحسن قيام، وكانت له الخدمات الجليلة التي أعادت على الدولـة العباسية بالخير والقوة، وتقلد الوزارة للخليفة المقتفي وولده المستنجد بالله فبقي في منصبه حتى توفي ببغداد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م[٩٧]. وسـنتلمس في اخباره وافعاله الحسنة من الحوادث ومجرياتها فيما سنذكره من الوقائع التي حصلت في بغداد على أيامه على حسن ادارته وعظيم حنكته.

---

[٩٦] المنتظم: جـ١٠ ص١٤٧.
راحة الصدور: ص٣٥٤.
اخبار الدول السلجوقية: ص١٢٩.

[٩٧] المنتظم: جـ١٠ ص١٣٧.
ابن خلكان: جـ٥ ص١٧٤.
ذيل طبقات الحنابلة جـ١ ص٢٥١ طبعة الفقي.
الروضتين: جـ١ ص١٤١.
الشذرات: جـ٤ ص١٩١.
النجوم الزاهرة: جـ٥ ص٣٦٩.
مرآة الزمان: جـ٨ ص٢٥٥.

اغتنم الخليفة المقتفي فرصة وفاة السلطان مسعود وضعف الامكانيات السلجوقية في العراق وتفرق كلمتهم في العالم الاسلامي، وكان شحنة بغداد (مسعود بن بلال) قد هرب الى تكريت عند سماعه بخبر وفاة السلطان مسعود، فاقتحم الخليفة دار الشحنة ودور اصحاب السلطان مسعود التي ببغداد، واخذ كل ما لهم فيها، وأمر باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان وقبض الخليفة على الكثير من أصحاب السلطان، وكان السلطان الجديد ملكشاه قد سير (سلاركرد) في عسكر الى الحلة فدخلها، ومن ثم سار اليها (مسعود بن بلال) شحنة بغداد واتفق مع سلاركرد، الا ان مسعود بن بلال قبض على (سلاركرد) وغرقه في نهر الفرات واستبد بالحلة وسيطر عليها[٩٨]، فجهز الخليفة جيشا بقيادة (يحيى ابن هبيرة) وزيره واتجه الجيش نحو الحلة فلما علم مسعود بن بلال عبر نهر الفرات وتقابل مع جيش الخليفة وفي أول الامر كان النصر لمسعود ابن بلال ولكن الوزير ابن هبيرة تمكن في النهاية من الحاق الهزيمة بمسعود بن بلال وهروبه الى همدان[٩٩].

---

[٩٨] المنتظم: جـ١٠ ص١٤٨.
ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٧.
اخبار الدولة السلجوقية: ص١٣٠.

[٩٩] المنتظم: جـ١٠ ص١٤٨ ـ ١٥٢.
ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٧.
اخبار الدولة السلجوقية: ص١٣٠.
آل سلجوق: ص٢١٥.

ويبدو ان الخليفة المقتفي أخذ في السيطرة على الاقطاعات التي كان يملكها الامراء السلاجقة، وقد اجتمع هؤلاء الامراء بالسلطان محمد وبينوا له ان ارزاقهم قد قطعت وان اقطاعاتهم قد فقدت، وطالبوا السلطان بمعالجة الحالة الخطيرة التي اصابتهم[١٠٠]، ولكن ماذا يعمل السلطان وهو الذي طلب ملتمساً من الخليفة ان يخطب له فلم يجب، برغم اظهار خضوعه الشديد وطاعته العظمى[١٠١]، فطلب منهم التأني وعدم مخالفته الخليفة لانها لا تجدي نفعاً[١٠٢]. وهكذا نرى قوة الخلافة العباسية تزداد قوة كلما قام نزاع بين السلاجقة انفسهم أو بينهم وبين الاقوام الاخرى، وفي سنة ٥٤٨هـ/١١٣٥م انهزم سنجر أمام الغز، الذين دخلوا نيسابور ونهبوها نهباً مجحفاً وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار، وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد[١٠٣]، وتمكن الغز من اسر السلطان سنجر وهاجموا مرو فاستسلم أهلها بعد قتال شديد ونهبها الغز للمرة الثانية[١٠٤]، وظل السلطان سنجر أسيراً ثلاث سنوات ثم هرب من الاسر سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ولكنه مات سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، بعد أن أصبح كبيراً في السن[١٠٥]، وبوفاة سنجر ازدادت الخلافة قوة ونفوذاً.

---

[١٠٠] آل سلجوق: ص٢١٦.

[١٠١] اخبار الدولة السلجوقية: ص١٣١.

[١٠٢] آل سلجوق: ص٢١٧.

[١٠٣] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٨هـ.

[١٠٤] راحة الصدور: ص٢٧١ ــ ٢٧٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٨هـ.

[١٠٥] راحة الصدور: ص٢٧٨.

ويبد أيضاً ان تكريت كانت معقلاً من معاقل السلاجقة وانهـا كانـت مصدر خطر على بغداد وفي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م أرسل الخليفة رسـولاً الى والي تكريت بسبب الاسارى، ولكن المسؤولين في تكريت قبضوا علـى رسول الخليفة، فسير الخليفة جيشاً الى تكريت ووقف أهلها يمنعونه مـن الدخول الى البلد، فسار الخليفة بنفسه ودخل تكريت، ونصب على قلعتهـا ثلاثة عشرة منجنيقاً، وحصل فيها قتال شديد ورجع الخليفة الى بغداد وترك وزيره ابن هبيرة على حصارها، ووصل في السنة نفسها مسعود ابن بلال الى شهربان ومعه بعض الامراء الاتراك، ورجع ابن هبيـرة الـى بغـداد وأرسل مسعود بن بلال الى تكريت من أخرج منها (الملـك ارسـلان ابـن السلطان طغرل بن محمد) وكان محبوساً فيها عاد مسعود مع الملك ارسلان الى بكمزا بالقرب من بعقوبة حيث دارت معركة شديدة بين جيش الخيلفـة والسلاجقة وتمكنت الجنود السلجوقية من الحاق الهزيمة بالجيش العباسي ولكن الخليفة المقتفي لامر الله وقف بعناد وصار يشجع المقاتلين حتى تـم له النصر والغلبة، وانهزم (مسعود بن بلال) الى واسط وأحدث فيها القلـق والاضطراب فوجه الخليفة وزيره (ابن هبيرة)، الذي تعقبه وتمكن من طرد الاعاجم، ورجع الوزير الى بغداد[١٠٦].

واستمرت المنازعات الحروب بـين الـسلاجقة والعباسـيين، وظـل العباسيون يتحينون الفرص لاضعاف النفوذ السلجوقي، وستصيب الخلافـة نجاحاً كبيراً بتسديدها ضربة شديدة للسلطان محمد بن محمود بن محمد ابن

---

[١٠٦] المنتظم: جـ١٠ ص١٥٥ ـ ١٥٨.
ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٩هـ.
اخبار الدولة السلجوقية: ص١٣٢ ـ ١٣٣.
آل سلجوق: ص٢١٦.

ملكشاه، الملقب بقسيم أمير المؤمنين[١٠٧]، فقد طمع السلطان محمد بأن يخطب له، ولكن الخليفة المقتفي لم يقبل ورفض الطلب[١٠٨].

وكان الخليفة العباسي، قد اتبع سياسة جديدة لتفريق صفوف السلاجقة، وانه استمال أحد أقطاب البيت السلجوقي سليمانشاه بن محمد، عم السلطان محمد بن محمود بن محمد، وكان سليمانشاه قد حضر قصر الخليفة وحلف له على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال، فلما حلف خطب له ببغداد ومنح القاب ابيه، وجهزه الخليفة بثلاثة آلاف فارس، وكتب الخليفة الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخي السلطان محمد صاحب همذان، يدعوه الى موافقته، وقدم في ألفي فارس، واتفق لسليمانشاه وملكشاه على أن يكون ملكشاه ولي عهد (سليمانشاه)، ولما سمع السلطان محمد بخبرهم، جهز جيشاً وسار الى ملاقاتهم ودارت بين الطرفين مقتلة كبيرة، وانتهت بهزيمة (سليمانشاه) ومن ثم وقوعه أسيراً في ايدي عساكر الموصل حلفاء السلطان محمد وكانوا بقيادة (زين الدين علي)[١٠٩] وفي ذي الحجة من سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م حاصر

---

[١٠٧] راحة الصدور: ص٣٧١.

[١٠٨] المنتظم: جـ١٠ ص١٦٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٢هـ.

[١٠٩] المنتظم: جـ١٠ ص١٦٥.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥١.

اخبار الدولة السلجوقية: ص١٤٢ ـ ١٤٣.

راحة الصدور: ص٣٨٣.

السلطان محمد بغداد وتقدمت للسلطان محمد مساعدات من صاحب الموصل اتابك قطب الدين ونائبه زين الدين علي، وقد استعد الخليفة المقتفى لامــر الله واستنفر الناس اشتدت الحرب بين السلاجقة وجند الخليفة، وكان جنــد الموصل، غير مجدين في القتال وقيل ان (محمود بن زنكـــي) وهـــو اخـــو (قطب الدين) صاحب الموصل أرسل الى زين الـــدين يلومـــه علـــى قتـــال الخليفة، ففتر وأقصر(١١٠)، وقد دفع أهل بغداد دفاعاً مجيداً ووصـــلت الـــى السلطان محمد الاخبار ان أخاه ملكشاه وايلدكز صاحب اران والملك ارسلان بن الملك طغرل قد دخلوا همذان واستولوا عليها وحاول السلطان محمد ان يجد في القتال عله يصل الى نتيجة مرضية أو نصر يبلغه مبتغـــاه ولكنـــه فشل في مسعاه وترك ميدان القتال في بغداد متوجهاً نحـــو همـــذان(١١١)، وكان انسحاب السلطان محمد غير منتظم وكانت الفرصة ســـانحة لجـــيش بغداد في مطاردته وتمزيقه، ولكن يبدو انه لم تكن لديـــه القـــوة الكافيـــة لتحقيق ذلك(١١٢).

---

(١١٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥١هـ.
راحة الصدور: ص٣٨٥.

(١١١) المنتظم: جـ١٠ ص١٦٩ ـ ١٧٠.
راحة الصدور: ص٣٨٥.
ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٢هـ.
اخبار الدولة السلجوقية: ص١٤٠.

(١١٢) راحة الصدور: سنة ٣٨٥هـ.

سار محمد لمحاربة أعدائه وانقاذ همدان، وبعد حرب شديد انتهت بانتصاره ودخوله همذان ولكن بعدما أصيب بمرض السل ومات سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م [١١٣]، وبموت محمد تنفست الخلافة العباسية الصعداء وانقسم السلاجقة فيما بينهم، كل أمير يريد السيطرة وتنازع على السلطنة ملكشاه أخو السلطان محمد وعمه (سليمانشاه)، وكذلك (ارسلان بن طغرل) وكان لكل واحد من هؤلاء من يؤازره ويؤيده، وسيطر ملكشاه على خوزستان ومضى الى اصفهان فلما قاربها أرسل الى ابن الخجندي وأعيان البلد في تسليم البلد فامتنعوا عن ذلك وقالوا: لأخيك في رقابنا يمين ولا نغدر به، ولذا شرع ملكشاه في الفساد والمصادرة بأهل القرى[١١٤]، وسار (سليمانشاه) الى همذان، ولكن الاقدار غيرت الموقف فمات ملكشاه مسموماً سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وتوفي كذلك (سليما نشاه) سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م[١١٥]، وكان (سليما نشاه) على ما يبدو ميالاً الى اللهو والمجون، تاركاً شؤون دولته[١١٦].

---

[١١٣] المنتظم: جـ١٠ ص١١١

ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٤هـ.

راحة الصدور: ص٣٨٧.

[١١٤] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٥هـ.

[١١٥] راحة الصدور: ص٣٩٩ ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٦هـ.

المنتظم: ص١٩٨.

آل سلجوق: ص٢٢٢.

[١١٦] راحة الصدور: ص٣٩٦ ـ ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٦هـ.

وفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م توفي الخليفة المقتفي لامر الله بعد أن حكم أربعاً وعشرين عاماً، قضاها بمناهضة السلاجقة وتدبير الملك، وتوحيد الصف وبعث الهمة والعزيمة في نفوس المسلمين كما كان عاملاً مهماً وكبيراً في التطويح بكثير من المظاهر السلجوقية، ووقف باصرار وعناد امام السلاطين والملوك السلاجقة وانه كان اول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه في حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد (المنتصر) الى خلافته[١١٧]، وبويع بالخلافة ولده (المستنجد بالله)[١١٨]، وبرزت في عهد المستنجد بالله، شخصية "ايلدكز" السلجوقي الذي كان اتابكاً لارسلان بن طغرل، الذي خطب له بالسلطنة بعد وفاة سليما نشاه وبما أتى (ايلدكز) من قوة النفوذ ان جعل السلطان رمزاً يملك ولا يحكم[١١٩]، وأرسل (ايلدكز) الى بغداد يطلب الخطبة (لارسلان شاه) وان تعاد القواعد الى ما كانت عليها ايام السلطان مسعود فأهين رسوله وأعيد اليه على أقبح حالة[١٢٠]، وفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م، استولى الخليفة المستنجد بالله على قلعة (الماهكي)[١٢١]، وهي قريبة من بلدة البندنيجين[١٢٢]، وكانت هي

---

[١١٧] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٥هـ.

[١١٨] المنتظم: جـ١٠ ص١٩٢.

[١١٩] تاريخ كزيدة: ص٤٧٠.

[١٢٠] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٦هـ.

[١٢١] المرجع السابق: حوادث سنة ٥٥٧هـ.

[١٢٢] البندنيجين: تعرف اليوم باسم مندلي على نحو ٩٣ كيلومتراً عن بعقوبة. (الدكتور مصطفى جواد في تحقيق تكملة اكمال الاكمال ص٣٧٣).
لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص٨٨.

القلعة بأيدي الاتراك والاكراد منذ عهد المقتدر[١٢٣]، ولم يكتف الخليفة بمطاردة السلاجقة بل صار يلاحق أعوانهم ومن يقوم بمساعدتهم وتقديم العون اليهم، ففي سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م أمر الخليفة بقتال بني اسد أهل الحلة لمساعداتهم التي قدموها للسلطان محمد عند حصاره لبغداد ولما ظهر من فسادهم واحداثهم القلاقل للدولة العباسية، فشن عليهم الحرب وقتل منهم العدد الكثير وتفرق الباقون في انحاء مختلفة، وبذلك تخلصت الخلافة العباسية من مصدر كان كثيراً ما يثير الفتن والمشاكل لها[١٢٤].

ان الخلافة العباسية وقد قطعت مرحلة كبيرة من مراحل النزاع بينها وبين السلاجقة وأعوانهم، فان محاولات الخلفاء المسترشد والراشد والمقتفي المستنجد أتت ثمارها وأصبحت الدولة العباسية ذات مركز مرموق وصار ينظر الى الخليفة نظرة هيبة وتقدير، ومن الشخصيات التي كان لها أثر كبير في اسناد الخليفة وتقديم المشورة الصادقة والمعونة السديدة شخصية الوزير العباسي الكبير (يحيى بن هبيرة)، الذي وزر للخليفة المقتفي لامر الله والخليفة المستنجد بالله، فقد كانت لهذا الرجل يد قوية وحيل مرضية في قمع الدولة السلجوقية[١٢٥] وقد لعب دورا مهما في ملاحقة أعداء الدولة وكان موقفه جد عظيم في أثناء الحصار الذي ضربه السلطان محمد، على بغداد سنة ٥٥١ ـ ٥٥٢هـ/١١٥٧ ـ ١١٥٨م، ذلك

---

[١٢٣] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٧هـ.

[١٢٤] المرجع السابق: حوادث سنة ٥٥٨هـ.

[١٢٥] الفخري: ص٢٢٩.

الموقف الذي سند الخلافة وشجع أهل بغداد على رد عدوان السلطان السلجوقيين فضلاً عن كونه عالماً فاضلاً وشاعراً مبدعاً [١٢٦].

وأهم ما نلاحظه في هذه السنين الاخيرة التي بدأ فيها سلطان الخلافة في القوة والثبات، الهدوء الذي شمل بغداد وقلة الحوادث الاجرامية وندرة المنازعات بين المحال في المدينة، وسبب ذلك على ما ارجح، شعور الناس بقوة الخليفة وهيمنة جهاز حكمه على أجهزة الدولة وملاحقة المجرمين والخارجين على النظام العام، ففي عصور الخلفاء الذين عاشوا في العصرين البويهي والسلجوقي حتى خلافة المسترشد يندر ان نجد سنة لم تحدث فيها الحوادث الدامية بين المحال والناس، خاصة الحوادث التي سببها الخلافات المذهبية، فالشافعية كثيراً ما هاجمت الحنفية، وشن الحنابلة الهجمات على الشافعية، والسنة والشيعة ثار بعضهم على بعضهم الآخر، وهكذا عاشت بغداد في دوامة من القلق والفوضى سنين عديدة سببت ازهاق الكثير من الارواح، فأتلفت الكثير من البيوت والاسواق وهو ما أدى الى اضعاف الروح المعنوية لدى الشعب، كما سببت كساد الاسواق

---

[١٢٦] المنتظم: جـ١٠ ص٢١٤ ـ ٢١٧.

ابن الاثير:: حوادث سنة ٥٦٠هـ.

الشذرات: جـ٤ ص١٩١.

ذيل طبقات الحنابلة: جـ١ ص٢٥١ ـ٢٨٩.

النجوم الزاهرة: جـ٥ ص٣٦٩.

مطالع البدور: جـ٢ ص١١٤.

وفيات الاعيان: جـ٥ ص٢٧٤.

وتجميد الحياة الاقتصادية، وفقد الناس الثقة بحكامهم ورؤسائهم وصار كل فرد يسعى الى أن يتسلح ليدافع عن نفسه وأمواله، وعاش معظم أهل بغداد في قلق واضطراب، وبالطبع ان هذه الحوادث من الفتن والاضطرابات استغلها الشقاة من العيارين والشطار، وكان يغذيها أصحاب المصالح الذين يستفيدون من تلك البلبلة والفوضى خاصة مَنْ تبقى من البويهيين والمتنفذين من السلاجقة، وفي أيام المقتفي والمستنجد بشكل خاص، وبعد ان علا شأن الخليفة وقويت اركان الخلافة وصار بمقدور المسؤولين ملاحقة ومعاقبة المسيئين نجد ان حوادث العنف والسطو اصبحت نادرة، وصار الناس يعيشون بأمن واستقرار واخذت الاسواق تنشط شيئاً فشيئاً لاهتمام الخليفة بأحوال الناس.

وفي سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م توفي الخليفة المستنجد بالله العباسي بعد مرض اشتد به[١٢٧]، ويعتقد بعض المؤرخين ان (قطب الدين قيماز المقتفوي) وبعض الامراء قد تآمروا على الخليفة فأدخلوه كرهاً الى الحمام وهو مريض واغلقوا عليه باب الحمام فمات خنقاً[١٢٨]، وقد عرف عن المستنجد انه من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلاً فيهم كثير من

---

[١٢٧] المنتظم: جـ١٠ ص٢٣٣.

[١٢٨] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٦هـ.

الفخري: ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

مرآة الزمان: جـ٨ ص٢٨٤.

مرآة الجنان: جـ٨ ص٣٧٩.

تاريخ الخميس: جـ٢ ص٣٦٣.

الرفق بهم[١٢٩]، وبويع بالخلافة ولده (الحسن) ولقب (المستضيء بأمر الله).

ومن الحوادث المهمة في حياة الخلافة العباسية في هذا العصر، سيطرة (صلاح الدين الايوبي) على الامور في مصر وقطعه الخطبة للفاطميين واقامتها للعباسيين سنة ٥٦٧هـ/١١٧١[١٣٠]، وفي هذه الحادثة قوة واسناد للخلافة العباسية واستعادة لبعض حقوقها، كما تدل ايضاً على انتصار كبير للخلافة العباسية التي تدين بالمذهب السني على الخلافة الفاطمية التي كانت تدين بالمذهب الشيعي.

ان الخليفة (المستضيء بامر الله) الذي حكم حوالي تسع سنين، لم تكن له المواقف التي تدل على مناهضته للسلاجقة، ويبدو انه كان ميالاً الى الدعة والهدوء، ولكن مما لاشك فيه ان عهده كان لا يخلو من المشاكل التي تعطي صورة للاوضاع السائدة وقتذاك، ومن اخطر مشاكل عهده انه في اول خلافته قتل الوزير (ابن البلدي)[١٣١] والقيت جثته في دجلة، كما احدث قائد الجيش (قطب الدين قايماز) حركة مما دفع الخليفة الى الاستغاثة

---

[١٢٩] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٦هـ.

[١٣٠] المنتظم: جـ١٠ ص٢٣٧.
ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٧هت.
ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٣٥.
ابو الفدا: جـ٣ ص.٥٣

[١٣١] ابن البلدي: شرف الدين ابو جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي كان ناظرا بواسط، أبان في ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة المستنجد بالله واستوزره. وفي سنة ٥٦٦هـ أمر (المستضيء بامر الله) بقتله. (المنتظم: جـ١٠ ص٢٣٣).

بعامة بغداد الذين هاجموا دار القائد ونهبوها، ومات قطب الدين وهو في طريقه الى الموصل، هرباً من العامة، وغَضَبِ الخليفة[١٣٢]، كما قُتل وزير الخليفة، (عضد الدين محمد بن عبد الله بن رئيس الرؤساء) سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، فهذه الحوادث ان دلت، انما تدل على عدم استقرار الامور في بغداد.

اما حال السلطنة السلجوقية، فقد استمرت مضطربة، وفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، توفي (ايلدكز)[١٣٣]، الذي كان اتابكاً للسلطان ارسلان، واصبح له النفوذ الاكبر في الدولة، يصرف الامور برأيه، اما السلطان ارسلان فقد صار رمزاً لا يملك ولا يحكم، وبعد وفاته اصبح ولده.(جهان بهلوان) مكانه، وخلفه في نفوذه[١٣٤]، وكانت له شخصية قوية غلبت شخصية السلطان (ارسلان) فاستبد بالحكم دونه[١٣٥]، وتوفي السلطان (ارسلان) سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[١٣٦]، وتولى مكانه الطفل الصغير طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد، واصبح المتنفذ في الامور والمسيطر على اجهزة السلطنة الاتابك جهان بهلوان، وكان له نفوذ كبير في قلوب العساكر واصحاب الاطراف[١٣٧]، وكان لجهان بهلوان اخ يدعى (قزل ارسلان)

---

[١٣٢] الكامل: حوادث سنة ٥٧٠هـ.

[١٣٣] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٨هـ.

اخبار الدولة السلجوقية ص١٦٨ يذكر وفاته سنة ٥٧٠هـ.

[١٣٤] اخبار الدولة السلجوقية: ص١٦٨.

[١٣٥] آل سلجوق: ص٢٧٦.

[١٣٦] راحة الصدور: ص٤٣٠ ـ العماد الاصفهاني: آل سلجوق ص٢٧٦ يذكر ان اخاه سقاه السم.

[١٣٧] اخبار الدولة السلجوقية: ص١٧١.

اعتمد عليه في استتباب الامور وقد انابه في ادارة اقليمي اذربيجان واران، وحارب (جهان) اهل مراغة وسيطر على تبريز[١٣٨]، كما حارب محمد بن طغرل بن محمد بن ملكشاه عم الطفل طغرل عندما حاول الاغارة على العراق[١٣٩]، وقتل (ابن شملة) حاكم (خوزستان) الذي تعاون مع (محمد بن طغرل) في تلك الاغارة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[١٤٠]، واستمر (جهان بهلوان) يحكم باسم السلطان، له الكلمة النافذة وساد الاستقرار في السلطنة، ولم يكن السلطان من الامر شيئاً، انما حكم البلاد كان بيد الاتابك (جهان)[١٤١]، حتى توفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، وكان قد اوصى اولاده الاربعة، أن يكونوا بحكم عمهم (قزل ارسلان)[١٤٢].

وفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، توفي الخليفة (المستضيء بامر الله)، وولي الخلافة من بعده ولده (الناصر لدين الله)[١٤٣]، وفي عهد الناصر لدين الله بلغت الخلافة العباسية في عصورها الاخيرة قمة مجدها من النفوذ والقوة، وحكم هذا الخليفة ما يقرب من سبع واربعين سنة، ويُعدّ الناصر

---

[١٣٨] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٧٠هـ.

[١٣٩] امير خواند: روضة الصفا، جـ٤ ص٢٥.
اخبار الدولة السلجوقية: ص١٦٩ ــ ١٧٠.

[١٤٠] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٧٠هـ.
اخبار الدولة السلجوقية: ص١٢٦١ يذكر ان الاتابك ايلدكز قبض عليه وسجن.

[١٤١] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٨٢هـ.

[١٤٢] اخبار الدولة السلجوقية: ص١٧٢هـ.

[١٤٣] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٧٥هـ.
دحية: النبراس ص١٦٤.
المقريزي: السلوك جـ١ ص٢١٧.
ابن الدبيثي: المختصر المحتاج اليه ص١٧٩.
الفخري: ص٢٣٦.

من دهاة الخلفاء العباسيين، وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفطن لها احد، يوقع الصداقة بين الملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون[١٤٤]، وسيكون لهذا الخليفة النصيب الاوفر، في القضاء على النفوذ السلجوقي، وتحرير العراق نهائياً من الآثار البغيضة ومن أي مظهر من مظاهر السيطرة والنفوذ.

قلنا ان (جيهان بهلوان) توفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، وبعد وفاته قامت في البلاد مشاكل وقلاقل كثيرة، وقد حدث في اصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يَجِلّ عن الوصف، وقامت فتنة في الري بين الشيعة والسنة ادت الى تفرق اهلها وقتل الكثير منهم وتخريب المدينة[١٤٥]، واستغل الخليفة الناصر تلك الفتن والمنازعات في سبيل اضعاف نفوذ السلاجقة كما انه تدخل في النزاع الذي قام بين السلطان (طغرل) و (قزل ارسلان)، وفعلاً أمَدّ الخليفة، الملك (قزل ارسلان) بجيش سار من بغداد ليحارب جيوش (طغرل) ولكن هذا الجيش لم يفلح، فأمَدّه الخليفة بجيش آخر، ونجحت جيوش الخليفة (الناصر لدين الله) في دخول مدينة (همدان) وانهزم السلطان (طغرل) الى اصفهان بعد ان عجز عن مقاومة جيش بغداد، وامر الخليفة بتسليم مدينة همدان الى (قزل ارسلان) ليحكمها نيابة عن الخليفة (الناصر لدين الله)[١٤٦]، اما في بغداد فالخليفة الناصر لدين الله صار يلاحق انصار السلاجقة ويقضي على

---

[١٤٤] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٤٩.

[١٤٥] ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٢هـ.

[١٤٦] اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٨.

اثارهم، وقد امر في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، بنقض دار السلطنة الى الارض وعفى اثرها[١٤٧]، وكان قد اتخذها السلاطين السلاجقة مقراً لهم، هدمها الخليفة الناصر لدين الله اثر تحدي السلطان طغرل الثالث ومطالبته اياه بالخطبة للسلجوقيين ببغداد، وهذه الدار كانت تقوم في (محلة المخرم)[١٤٨]، من محلات بغداد القديمة في الجانب الشرقي المعروف اليوم بجانب الرصافة، بناها بهروز الخادم من انقاض دور الناس واستعمل في عمارتها اهل بغداد، حتى القضاة والاشراف والاعيان.

بعد هزيمة (طغرل الثالث) امام جيوش بغداد، اتجه الى (آذربيجان) واتفق مع (عز الدين حسن بن قفجان)، وصار يهجمان على المدن والقرى وينهبانها، فارسل اليهم (قزل ارسلان)، جيشاً لمساعدة الامراء العراقيين، فحاربهم ذلك الجيش واوقع بجيش طغرل الهزيمة حيث لجأ طغرل عز الدين حسن الى قلعة (الكرخاني) وهي قلعة الامير (ابن قفجان) في الزاب[١٤٩]، ومن هناك ارسل عز الدين حسن، الخليفة (الناصر لدين الله) واستقاله في زلة السلطان (طغرل) في مقاتلة الوزير (جلال الدين بن يونس)، وبين (عز

---

[١٤٧] ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٣هـ.

[١٤٨] المخرم: محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها الدار التي كان يسكنها السلاطين البويهيون والسلجوقيون خلف الجامع المعروف بجامع السلطان خربها الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين ابو العباس احمد (ياقوت الحموي جـ٤ ص٤٤١). ذكر مترجماً كتاب (بغداد مدينة السلام) تأليف ريجاردكوك: ان المخرم هي العلوازية (العيواضية) الحالية ص١٤٩.

[١٤٩] اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٩.

الدين حسن) في رسالته: ان السلطان (طغرل الثالث)، كان مضطراً الى ما عمله، وانه الآن مملوك الدولة، وعبد الطاعة ان رسم امير المؤمنين ان يقصد الخدمة، ويكون آمناً، يجري له ما يقوته فعل، وان كان اهلاً للنيابة في بعض المواضع انقاد الى اوامره الشريفة، وارسل ولده ليكون رهينة لطاعته الى بغداد(١٥٠).

ونزل طغرل في (آذربيجان) وسار اليه (قزل ارسلان) بجيش للقضاء عليه ولكن (طغرل الثالث) انحاز الى همدان، فجوبه بجيش كثيف هناك، ولحق (قزل ارسلان) بهمدان فلما وجد (طغرل الثالث) شدة الجيوش وكثرتها وعلم ان الخليفة (الناصر لدين الله) أمد جيوش قزل ارسلان بجيش كامل العدد وجهزه بقاذفات اللهب والنبال والجرارات وجميع ادوات القتال(١٥١)، ودارت الحروب بين طغرل الثالث وجيوش الخليفة التي كانت امدادات لجيوش (قزل ارسلان) وقد تبادل الطرفان النصر والهزيمة مرات عديدة حتى وقع السلطان طغرل الثالث في نهايتها أسيراً، بيد (قزل ارسلان)، واعتقله هذا في قلعة باذربيجان قريبة من تبريز(١٥٢). وصار (قزل ارسلان) يحكم بالاستبداد واستولى على جميع البلاد التي كانت للسلطان طغرل الثالث ولكنه على ما يبدو، صار يميل الى شرب الخمرة

---

(١٥٠) المرجع السابق ١٧٩ ــ ١٨٠.

(١٥١) راحة الصدور ص٤٨١.

(١٥٢) اخبار الدولة السلجوقية ص١٨٠.

راحة الصدور ص٥٠٠ وفيها يذكر ان السلطان اسر في قلعة دزمار وهي قرية حصينة من نواحي اذربيجان قرب تبريز. مراصد الاطلاع ص٥٢٦.

وارتياد اللهو مما اغضب زوجته (اينانج خاتون) فاغرت بعض غلمانه فقتلوه وهو سكران[١٥٣]، وكان ذلك سنة ٥٨٧هـ/١١٩٠م.

وهكذا انتهت حياة (قزل ارسلان) الذي علا نجمه وبلغ نفوذه حداً بعيداً، بعد مقتله حدثت مشاكل كثيرة حيث تنازع الامراء فيما بينهم وادى تنازعهم وانشغالهم الى هروب السلطان طغرل الثالث من معتقله وتمكن من جمع الجيوش والاتفاق مع بعض الامراء، الا ان امراء العراق لم يقابلوا حركة طغرل بجدية كبيرة، بل وقاموا حركته بهوادة وتراخٍ، فاستطاع من ان يوقع هزائم في جيوشهم والدخول الى همدان، والتربع على العرش فيها، وتقدم اليه الاتباع بالخضوع والطاعة[١٥٤]، وواضح فان هذه الحالة اغضبت الخليفة الناصر لانها كانت نتيجة سيئة لما كان سعى اليه.

وكان من منافسي طغرل الثالث الاشداء (خوارزم شاه علاء الدين تكش) ٥٦٨ ـ ٥٩٦هـ/١١٧٢ ـ ١١٩٩م، ملك الدولة الخوارزمية، والدولة الخوارزمية هي احدى الدولة التي نشأت في قلب الدولة السلجوقية بدأت بالنهوض والسيطرة منذ عهد (أتسز خوارزمشاه)، ٥٢١ ـ ٥٥١هـ/١١٢٧ ـ ١١٥٦م، وقد كان يغتنم الفرص للحصول على نفوذ اكبر على حساب المناطق الضعيفة، وقد بلغت الدولة الخوارزمية قوتها

---

(١٥٣) اخبار الدولة السلجوقية ص١٨١.
راحة الصدور ص٥٠٢.
ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٧.

(١٥٤) الراوندي ص٥٠٢ ـ ٥٠٣.
ابن الاثير حوادث سنة ٥٩٠هـ.

الكبيرة على عهد (علاء الدين تكش خوارزمشاه) الذي كما قلت كان من اشد المنافسين والمناهضين لطغرل الثالث فقد اتجه خوارزمشاه الى الري يريد الاستيلاء عليها، فاستولى على قلعة (طبرك) ولكن طغرل الثالث جهز جيشاً، سار به نحو (الري) فدخلها وقتل (طمغاج الخوارزمي) الذي كان حاكماً عليها[١٥٥]، وجرت منازعات وحروب بين الخوارزمين وطغرل الثالث وقتل من الطرفين عدد كبير، وارتأى الناصر لدين الله ضرورة الاتصال بالخوارزميين واثارتهم ضد السلاجقة، فارسل الخليفة رسالة الى (خوارزمشاه علاء الدين تكش) يشكو فيها من طغرل الثالث ويطلب منه قصد بلاده، ومعه منشور باقطاعه البلاد، فسار (خوارزمشاه) من نيسابور الى الري فتلقاه (قتلغ اينانج) ومن معه بالطاعة، ولما سمع السلطان (طغرل) بوصوله، جهز جيشاً لم يكن يتميز بوحدة الصف بل كان متفرقاً[١٥٦]، والتقى طغرل الثالث بجيش خوارزمشاه، وكانت معركة شديدة والقى طغرل الثالث بنفسه وسط المعركة، وكان على ما يبدو مغروراً بقوته الجسمانية وتراجع فجأة واصبح وحيداً في وسط اعدائه[١٥٧] وقتله الخوارزمية، وارسلوا برأسه الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله[١٥٨]، وكان ذلك سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، وكان الناصر قد ارسل مدداً الى

---

(١٥٥) راحة الصدور ص٥٠٥ ـ ٥٠٦.

(١٥٦) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٩٠.

(١٥٧) راحة الصدور ص٥١٣.

(١٥٨) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٩٠.

راحة الصدور ص٥١٤.

السلوك جـ١ قسم ١ ص٤٠.

خوارزمشاه كما سير اليه الخلع السلطانية، مع وزيره (مؤيد الدين بن القصاب)[159].

وهكذا انتهت بمقتل طغرل الثالث الدولة السلجوقية في العراق، وزال نفوذها نهائياً وان صار الخوارزميون يدعون انهم ورثة السلاجقة، الا انهم لم يبلغوا نفوذ سابقيهم، ولا ننكر، انهم اصبحوا اصحاب نفوذ في ايران، وانهم استولوا على كثير من مدنها[160]، وللخوارزميين آثار خالدة في المشرق، فيعود لهم الفضل في القضاء على (دولة الخطا) الوثنية، كما استردوا من الخطا ثغور ما وراء النهر، وانهم واجهوا الخطر المغولي الجارف اذ لولا هذا الزحف الكبير للمغول لكان للخوارزميين شأن مع الدولة العباسية، ومهما تكن الظروف فان الخلافة، بعد مقتل طغرل الثالث صارت في حل من أي ارتباط مع السلاجقة، وتمتعت الخلافة باستقلال تام، وانصرف الخليفة الى الاعمال الحضارية لعمران البلد ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً وعمرانياً، واصبح للخليفة الناصر لدين الله نفوذ كبير، وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين[161] واشتهر الخليفة الناصر لدين الله انه احيا سنن (الفتوة) ومعالمها وجمع ما تشتت من نظامها وشيد ما تعطل من احكامها، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص من العباد[162]، وذكر ابن وصل في مفرجه:ـ انه في سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، وردت رسل

---

[159] ابن الاثير: حوادث سنة ٥٩٠.

[160] ابن الوردي: جـ٢ ص١٣٤.

[161] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٥٠.

[162] ابن المعمار البغدادي: الفتوة (تحقيق الدكتور فؤاد حسنين) ص٢٠.

ذكر المحقق اسم المؤلف (ابن عمار) والصحيح ابن المعمار. وقد حقق المخطوط الدكتور مصطفى جواد وزملاؤه ونشروه في بغداد سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠.

الخليفة (الناصر لدين الله) الى ملوك الاطراف، ان يشربوا له كأس الفتوة، ويلبسوا سراويلها، ويكون انتماؤهم اليه، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون[١٦٣].

والفتى لغة الحدث، كقوله تعالى: "انهم فيتة آمنوا بربهم" وكقوله تعالى: "قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم".

واهل الفتوة جماعة تجتمع في مجلس وتلبس الشخص منها لباس الفتوة، وتدير بينها في المجلس نفسه شربة فيها ملح وماء، ويقولون: ان رسول الله (ص) البس الامام علي بن ابي طالب (ع) لباس الفتوة ثم امره ان يلبس من شاء. واذا احب احد الدخول في المذهب، يجتمع القوم ويقوم نقيب الفتوة الذي هو مصدر منحها، والتشريف بها، الى الشخص الجديد، فينزعه اللباس الذي عليه بيد ويلبسه لباس الفتوة بيد، وهو سراويل، ولهم اسناد في الفتوة من طريق الخليفة الناصر لدين الله، الى (عبد الجبار بن صالح البغدادي) الى (تمامة) الى (علي بن ابي طالب) (ع)، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويشترط شيوخ الفتوة على كل فتى، صدق الحديث واداء الامانة واداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الارحام والوفاء بالعهد والعفو عن المظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله والاجتماع على السنة ومفارقة احدهما للآخر، والتحالف في مصادقة الصديق في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أن مع خصمه[١٦٤].

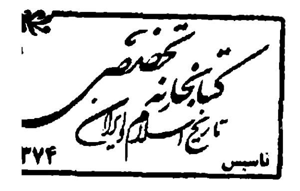
---

(١٦٣) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٣ ص٢٠٦.

(١٦٤) ابن السامي الجامع المختصر جـ٩ ص٣٦٠.

واهم ما يندب الفتى لفعله، الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاؤوا به ويخلص في عقيدته وعبارته ويحسن في ضميره وطويته ويحمد في سيرته وطريقته ويراقب الله في سره وجهزه وعلانتيه ويحافظ على فرائض دينه، ينطق بالصواب، يصل الارحام ويصلي والناس نيام، يفي بالذمام ويزهد في الحرام، يصنع المعروف، ويحسن قرى الضيف، وينشر الاحسان ويعين الاخوان، يبار والديه ويحسن الى ما اساء اليه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(١٦٥).

والخليفة الناصر بتجديده لنظم (الفتوة) ورعايته لها، انما اراد في ذلك نهضة الشباب الاسلامي، وتعويدهم على العادات الطيبة وغرس المثل السامية في نفوسهم، وتوحيد صفوفهم وبذلك يقوى الصف الوطني، ويمكن بعد ذلك توجيه الفتيان الذين آمنوا بمبادىء الفتوة النبيلة، وجهة صالحة لخدمة الدين والدولة العباسية، وقد نجح (الناصر لدين الله) في ذلك نجاحاً كبيراً مما ساعده على تحقيق اغراضه واهدافه خاصة، تلك التي كان يعمل من اجلها وهي التخلص من الحكم السلجوقي واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها. ولا يفوتنا ان نذكر ان لجهود المسترشد والراشد وإلمقتفي والمستنجد الاثر الكبير في كسب الانتصارات الرائعة، فقد كان كل واحد من اولئك الخلفاء عظيماً في موقفه، جليلاً في كفاحه، من اجل استرداد حقوق الخلافة وازالة السيطرة السلجوقية.



(١٦٥) ابن المعمار البغدادي ص٧٤.

فهارس الكتاب

الفهرس الاول

(أ)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ك)

(م)

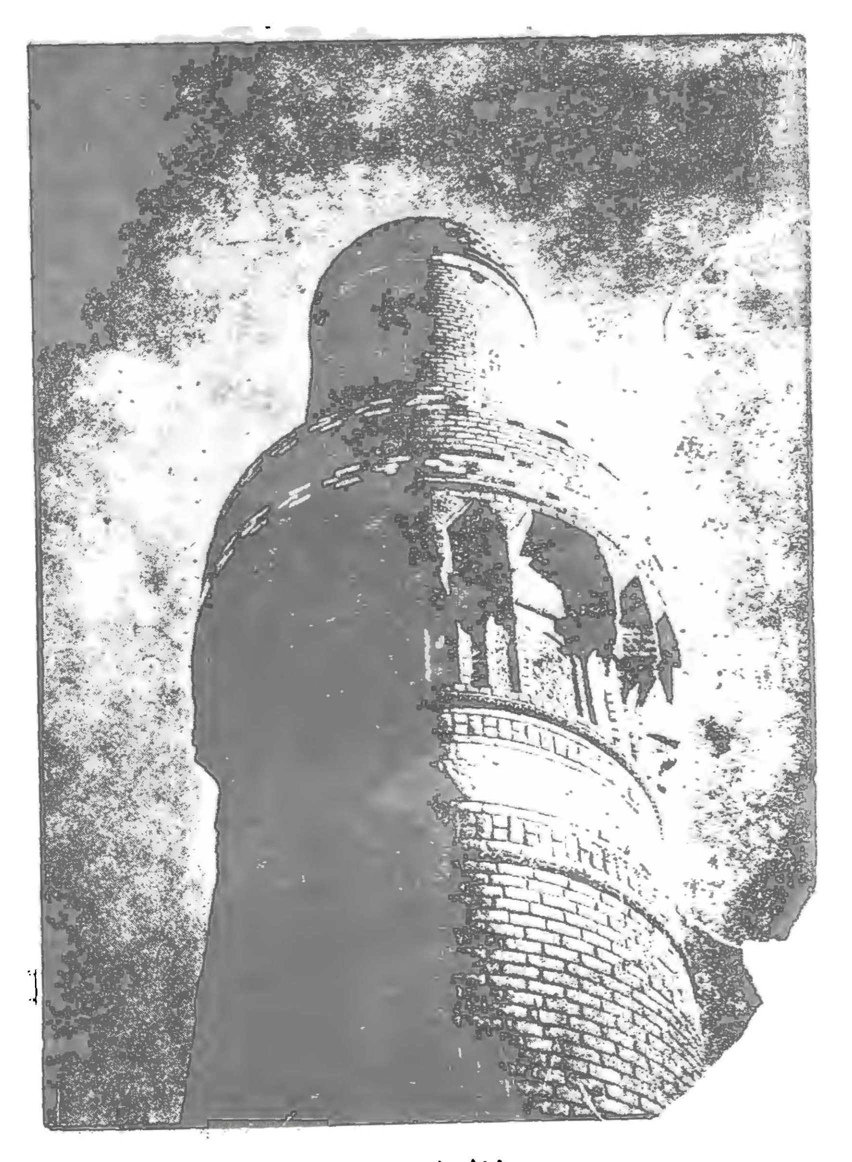
(ن)

الاماكن والبقاع

(ب)

(خ)

(د)



شكل ١:

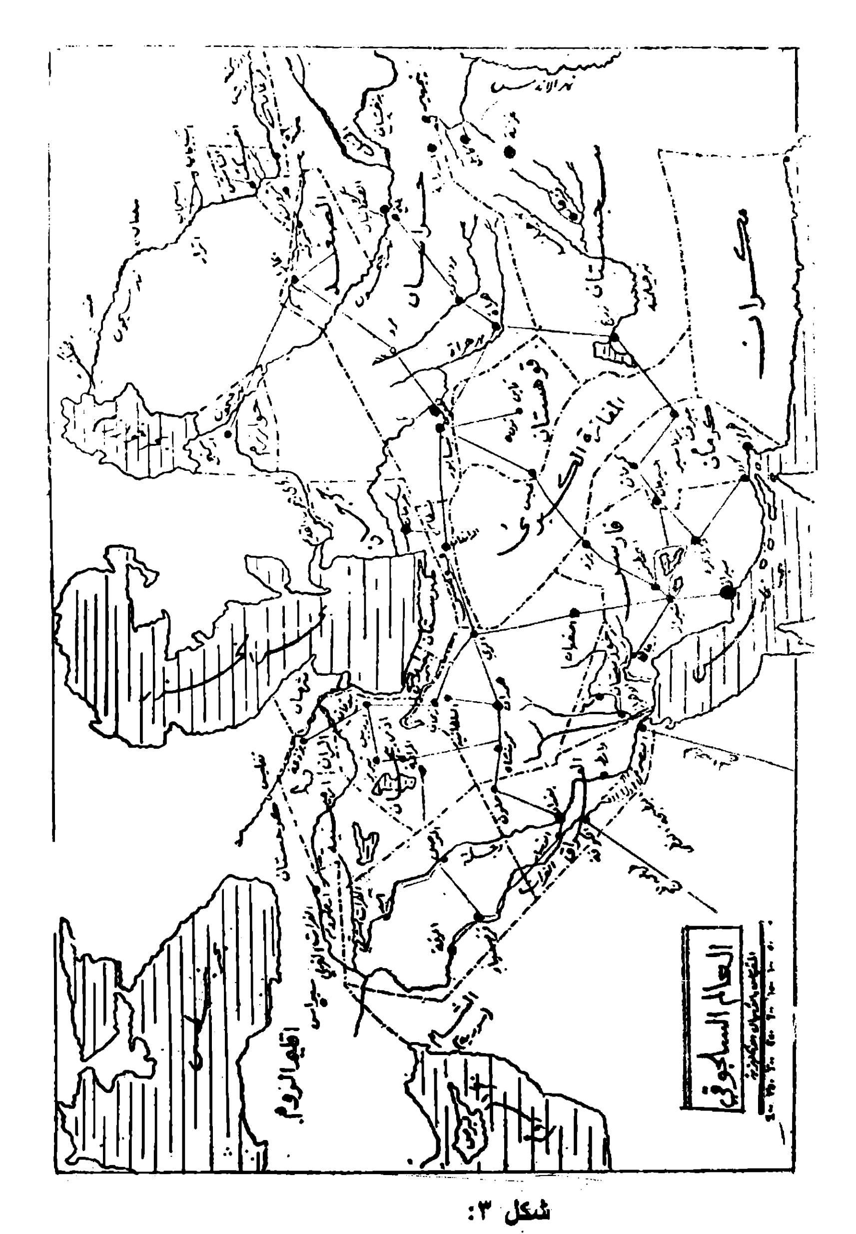
مطرقة باب من البرونز من العراق في القرن الحادي عشر الميلادي

(في متحف برلين)

شكل رقم ٢:

مئذنة مشهد الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد شيدت زمن الخليفة الناصر لدين الله سنة٦١٢هـ

شكل : (٣) العالم السلجوقي في القرن السادس الهجري



شكل ٣:

العالم السلجوقي في القرن السادس الهجري

المحتوى

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق بغداد (٣٤٠) لسنة ٢٠٠٦

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية



وزارة الثقافة

الغلاف: ياسر بدر باسم

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر ٢٥٠٠ دينار